دار رواي

حكاية الفناء القادم !

20?2

مقالات

مصطفى يحيى



- غلاف -

أحمد فريد

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لصالح

دار رواية للنشر الإلكتروني

وأي إعادة نشر إلكترونية دون وجه حق تعرض صاحبها للمساءلة



http://www.dar-rewaya.com

٢٠٠٩

تعمل دار رواية للنشر الإلكتروني على إفراد مساحة كاملة للنشر لكافة مبدعي الشبكة العنكبوتية بإعتبارها الخطوة الأولي نحو النشر الورقي، وفي سبيل الحلم في أن يصل إنتاجك للجميع تتعهد الدار خدمة النشر الإلكتروني على موقعنا أولاً بصورة تليق بالأعمال مع توفير الدعاية اللازمة والمناسبة له على الشبكة على كافة المستويات ثم تقديم ما يصلح منها لدور النشر المختلفة شرط أن يكون حجم هذه الأعمال صالحاً للنشر الورقي .

يبقى أن ننوه أننا لن نخضع لشروط النشر المعتاد وتعسف دور النشر التقليدية و يكفي فقط أن يمثل عملك تياراً أدبياً ناضجاً سواء أكان العمل في صورة رواية أو ديوان شعر أو مجموعة قصصية .

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لصالح
دار رواية للنشر الإلكتروني



نهاية العالم

بقلم
مصطفى يحيى

ـ الفصل الأول ـ

نهاية العالم

تتباين السيناريوهات المقترحة لنهاية العالم ، وفناء البشرية ، ففي نوفمبر ٢٠٠١ عرض خبراء من وكالة الطاقة الذرية احتمال قيام جماعات إرهابية بتفجير قنبلة نووية أو قنبلة إشعاعية ، وكان من بين السيناريوهات التي قدموها إحتمال تفجير طائرة مدنية على مفاعل نووي على غرار ما حدث في ١١ سبتمبر ، حتى أن الخبير البريطاني "جافين كاميرون " من جامعة سالفورد طرح احتمال أن تكون الطائرة الرابعة المختطفة التي تحطمت في بنسلفانيا ربما كانت متجهة إلى مفاعل (ثري مايلد أيلند) النووي.

وهناك سيناريو آخر مقدم لنهاية العالم بسبب الاحتباس الحراري الذي سيؤدي إلى النقص المستمر في نسبة الأكسجين وزيادة نسبة كبريتيد الهيدروجين القاتل لكل أشكال الحياة على الأرض . هذا بخلاف ما يسببه الاحتباس الحراري من ارتفاع مستوى درجة حرارة الأرض الأمر الذي يجعل احتمال ذوبان المحيطات المتجمدة واردًا جدًا ، مما ينتج عنه غرق الأرض في سيول وفيضانات واختفاء قارات كاملة . ففي ١٦ من سبتمبر ٢٠٠٨ نشرت (وكالة الفضاء الأوروبية) تقريرًا تقول فيه أن الممر الشمالي الغربي من القطب الشمالي قد فُتح تمامًا نتيجة ذوبان المياه ، وأن حوالي مليون كيلومتر مربع من الجليد قد أختفى ، وقد توقع العلماء أن يخلو القطب الشمالي من الثلوج بحلول عام ٢٠٤٠. وقبل هذا التاريخ بأربعة أيام أي في ١٢ من

سبتمبر ٢٠٠٨ أظهر تقرير (مركز المعلومات الأمريكي) أن ٢٠% من مساحة الثلوج في المحيط المتجمد الشمالي قد اختفى تمامًا ،مما يعرض احتمالاً كبيرًا لأن يختفي المحيط المتجمد الشمالي في عام ٢٠٣٠.

وقد رد بعض علماء الجيولوجيا على توقعات غرق الأرض من جراء ذوبان الجليد بأن الأمر لن يسير بهذه الطريقة ، لأن ما سيؤدي إلى حدوث السيول من جراء ذوبان الجليد هو الطبقة الزائدة فوق منسوب المحيط ، أي جبال وتلال الجليد ، وليس المحيط بأكمله ، أضف إلى هذا أن طبيعة الماء كما خلقها الله تعالى تجعله ينكمش بالحرارة ، ويتمدد بالبرودة على عكس باقي الجوامد والمواد الصلبة ، فالماء حينما يتحول من الحالة السائلة إلى حالو الثلج ، يزداد حجمه – وليس كتلته – وتقل كثافته ، مما يجعله يطفو فوق أسطح البحار والمحيطات ،

بالتالي عند ذوبان الجليد سيقل حجمه ، وينكمش . ولن يؤدي إلى هذه السيول والفيضانات المتوقعة ، ولكن كل ما سيحدث هو زيادة منسوب البحار والمحيطات حوالي عشرين سنتيمترًا فقط.

* * *

نهاية العالم ٢٠١٢

من ضمن السيناريوهات الأخرى المقترحة لنهاية العالم هو ارتطام مذنب أو جسم فضائي بالأرض. وهو السينارو المتخيل عن نهاية وانقراض الديناصورات في العصر القديم. وهو ماتناقلته الصحف العلمية الأمريكية ، حيث تم تسريب الخبر من وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) عن أن نهاية العالم ستكون يوم الجمعة ٢١ من ديسمبر ٢٠١٢ ، أي بعد ثلاث سنوات ، نتيجة اصطدام كوكب (نيبيرو **nibiru**) أو الكوكب

(إكس **X**) بالأرض ، أو مروره بين الأرض والشمس . وهو الكوكب الثاني عشر في المجموعة الشمسية والذي اكتشفته – بحسب الادعاءات – ناسا عام ١٩٨٣ ، و يعادل حجمه حجم الشمس ، وذو قوة مغناطيسية هائلة. والمتوقع أن يمر بالقرب من كوكب الأرض على مسافة تجعل سكان شرق أسيا يشاهدونه ، ثم يعترض مسار كوكب الأرض في عام ٢٠١١ ، مما سيمكن جميع سكان كوكب الأرض من مشاهدته وكأنه شمس أخرى حمراء. وبسبب قوته المغناطيسية الهائلة فإنه سيعمل على عكس قطبية الأرض ، أي أن القطب المغناطيسي الشمالي سيصبح هو القطب المغناطيسي الجنوبي ، والعكس بالعكس . بالتالي فإن دوران الأرض حول محورها سيتم ولكن في عكس اتجاهها الطبيعي. وفي نفس الوقت ستصطف كواكب المجموعة الشمسية

بأكملها في خط واحد وراء الشمس ، مما سيؤدي إلى عشرات الكوراث التي ستلم بالأرض من زلازل وبراكين وفيضانات وعواصف، الأمر الذي يهدد حياة ٩٠% من سكان الأرض.

الطريف في الأمر هو أن هذا الكوكب – بحسب ما يؤكده بعض الفلكيون – يكمل دورته حول الشمس كل ٤١٠٠ سنة . والبعض يعزي فيضان نوح ، وانقراض الديناصورات ، وانفصال القارت عن بعضها البعض(ما عرفناه بالانفجارالكبير)، إلى اقتراب هذا الكوكب من الأرض في عصور سحيقة.

* * *

حضارة المايا :

الأكثر طرافة في الأمر هو أن معظم التوقعات المأساوية لاقتراب الكوكب المجهول ترجع إلى تأثير فكرة قديمة تتنبأ بنهاية العالم وفق التقويم الفلكي لشعب المايا الذي ينتهي في ٢١ ديسمبر عام ٢٠١٢. وهي الحضارة التي استمرت طوال ٥١٢٦ سنة . وهي حضارة قديمة وعريقة قامت في شمال جواتيمالا وأجزاء من المكسيك والهندوراس والسلفادور ، وهذه المناطق هي موطن شعب المايا في أمريكا اللاتينية ، وكان قدوم الإسبان والأوروبيون سببًا في تدمير هذه الحضارة ، التي سقطت آخر ممالكها وهي مملكة (إتزا) في عام ١٦٩٧.

وشعب المايا كان شعبًا يتميز بالفنون خاصةً فن العمارة والتصوير التشكيلي والخزف والنحت، وحققوا تقدمًا كبيرًا في علم الفلك والرياضيات وطوروا تقويمًا سنويًا

دقيقًا. ووصلت حضارة المايا أقصى مراحـــل تطورهـــا الكبرى في منتصف القرن الثالث الميلادي واســـتمرات حوالي ٦٠٠عام واكثر. وكانوا أحد الشعوب الأولى في النصف الغربي للكرة الأرضية، حيث كان لديهم شكل متطور للكتابة. وكان شعب المايا يعـــيش في مســـاحة تقترب من حوالي ٣١١الف كيلو متر مربـــع وهـــذه المساحة قد قسمت الآن إلى عدت مناطق مـــن أهمهـــا الولايات المكسيكية كامبيشي، ويوكاتان، وكوينتانا رو وجزء من ولايتيّ تاباسكو، وتشياباس.

* * *

تقويم المايا :

بخلاف (الحسابات الطويلة) وهو أحد تقويمات شعب المايا ، فإن معظم التقويمات الأخرى قصيرة نوعًا ، على

سبيل المثال :

تقويم (تزولكين) : مدته ٢٦٠ يوم.

تقويم (هاب) : مدته ٣٦٥ يوم ، أي ما يعـــادل ســـنة شمسية.

التقويم الدائري : وهودمج لتقويمي (تزولكين) و تقويم (هاب) وطوله هذا التقويم ٥٢ هاب أي ٥٢ سنه بما يعادل مدة جيل تقريبًا.

وضمن التقويم الدائري يوجد ما يسمى (تريكينـــا = دورة ١٣ يوم) و (فينتينا = دورة ٢٠ يوم) . وبشكل واضح هذا النظام يستخدم فقط عنـــد الأخـــذ بعـــين الاعتبار ١٨,٩٨٠ يوم مميز على ٥٢ سنة . بالإضـــافة لهذه الأنظمة فان المايا لديهم ما يعرف ايضـــا باســـم " دورة كوكب الزهرة" . و قد قام بعض الأفراد من المايا بإنشاء تقويم مؤسس على موقع كوكب الزهرة في سماء

المساء . ويعتقد بأنهم قاموا بنفس الشـــيء مـــع بـــاقي الكواكب المعروفة في وقتهم في نظامنا الشمسي.

و استخدام التقويم الدائري مفيـــد إذا أراد الشـــخص ببساطة أن يتذكر يوم ميلاده ومواقيت الطقوس الدينية ، أما عن تسجيل التاريخ فطبعا لا توجـــد أي طريقـــة لتسجيل أي يوم أقدم من ٥٢ سنة. وصولا لهذه النقطة ، فان تقوم المايا يبدو مهجورا ولا اهمية له فهو وضـــع على معتقدات دينية ، الدورة الشـــهرية ، الحســـابات الرياضية باســـتخدام الأعـــداد ١٣ و ٢٠ كقاعـــدة وحدات والكثير من الخرافات المتعلقة بالتنجيم.

إن الرابط الرئيسي بين تقويمنا الحديث اليـــوم وتقـــاويم المايا هو تقويم " هاب " الذي ينتظم في ٣٦٥ يـــوم في سنة شمسية واحدة وهنا من غير الواضح إذا كان المايـــا قاموا بحساب السنة الكبيسة أم لا . إن الإجابة للتقويم

الطويل يمكن العثور عليها في " الحسابات الطويلـــة " في تقويم يدوم مدة ٥١٢٦ سنة.

و قاعدة الســـنة للحســـاب الطويـــل تبـــدأ مـــن (٠,٠,٠,٠,٠.) كل صفر يتحرك من صفر إلى ١٩ ، وكل واحد منها يصور جدول لأيام المايا . وعلى سبيل المثال : فان اليوم الأول في الحساب الطويل يرمز إليـــه ٠,٠,٠,٠,١ . وفي اليـــوم ١٩ ســـوف يكـــون ٠,٠,٠,٠,١٩ وفي اليوم العشـــرين ســـوف يرتفـــع مستوى وسوف يكون ٠,٠,٠,١,٠ . هذا الحســـاب يستمر حتى ٠,٠,١,٠,٠ (حوالي ســـنة واحـــدة) و ٠,١,٠,٠,٠ (حـــوالي ٢٠ ســـنة) و ١,٠,٠,٠,٠ (حوالي ٤٠٠ سنة). وبناءً على ذلك ، إذا اخترنا اليوم ٢,١٠,١٢,٧,١ فهو يمثل تقريبا ١٠١٢ ســـنه و ٧

أشهر و يوم واحد. ولكن ماهي علاقة كل هذا بنهاية العالم المزعومة؟

إن تنبؤات شعب المايا في مجملها مبنية على افتراض بان أمر سيئ سوف يحدث عندما ينتهي تقويم الحساب الطويل. لقد انقسم الخبراء حول تاريخ نهاية الحساب الطويل ، ولكن بما أن شعب المايا استخدم الأرقام ١٣ و ٢٠ في قاعدة الأنظمة العددية ، فان أخر يوم يكون في ١٣,٠,٠,٠,٠ ، وهذا يمثل ٥١٢٦ سنة والحساب الطويل بدء في ٠,٠,٠,٠,٠ والذي يوافق في التقويم الحديث ١١ أغسطس ٣١١٤ قبل الميلاد ، ما يعني بان الحساب الطويل لنهاية ٥١٢٦ سنة سيكون في ٢١ ديسمبر ٢٠١٢ .

الحضار السومرية ، والرزنامة الصينية ونبوءة نوسترادادموس:

في نفس الوقت ، يتفق هذا اليوم المتوقع لنهاية العالم ، مع نهاية العالم المتوقعة في الحضارة السومرية ، ففي عام ١٩٧٦ أدعى شخص يُدعى (زكريا سيتشن) أنه اكتشف وترجم وثائق سومرية قديمة عن بلاد ما بين النهرين تُعَرِّف كوكب نيبيرو على أنه الكوكب الثاني عشر في المجموعة الشمسية ، وقد كتب كتابًا هو (الكوكب الثاني عشر) ترجم فيه هذه الوثائق التي تتحدث عن قدوم رواد فضاء قدماء لكوكب الأرض قادمين من حضارة أجنبية عنّا تُدعى (أنوناكي **Anunnaki**) وقد قاموا بتحذير الأرض من الخطر الداهم القادم إليها من كوكب نيبيرو.

يتفق كذلك هذا اليوم المزعوم مع اليوم الذي تنتهي فيه الرزنامة الصينية المسماه (آتشي) . بالإضافة إلى أن البعض قد أشار إلى إحدى رباعيات نوسترآداموس أو

(ميشيل دي نوسترادام) الفلكي الفرنسي والمنجم الأشهر التي نشرها عام ١٥٥٥ ضمن كتابه (النبوءات) ، وتفسير هذه النبوءة يقول أن الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية سوف تضطرب بنهاية الالفية الثانية وستسبب دمار الحياة بعد ١٢ عاما فقط.

ومن ناحية أخرى كان عالم الرياضيات الياباني (هايدو ايناكاوا) قد تنبأ بأن كواكب المجموعة الشمسية سوف تنظم فى خط واحد خلف الشمس وأن هذه الظاهرة سوف تصاحب بتغيرات مناخية وخيمة تنهى الحياة على سطح الارض بحلول ٢٠١٢ . وقد تنبأ أيضًا علماء صينيون أن بداية نهاية العالم ستكون فى ٢١ من ديسمبر عام ٢٠١٢ حيث يكون الكوكب المجهول فى اقرب نقطة له من الارض وفى عام ٢٠١٤ سيصل الى نقطة

ينتهى فيها تأثيره على الارض مكملا مساره الشمسى حتى يعود مرة اخرى بعد ٤١٠٠ سنة .

في نفس الوقت أكد فلكيون عراقيون من الشيعة النبوءة ، واعتبروها صحيحة لأنها تتفق مع ظهور المهدي المنتظر – بحسب اعتقادهم – يوم الجمعة ٢٠١٢/١٢/٢١ ، حيث سيتفق هذا التاريخ مع شروق الشمس من مغربها ، وهو ما نفته جمعية الفلكيين السعوديين بجدة ، ونفت كذلك وجود شيء يُدعى كوكب نابيرو.

* * *

موقف وكالة ناسا NASA :

وكانت وكالة ناسا الفضائية الأمريكية قد صرحت منذ فترة أن مركب الفضاء **THEMIS** تمكن من التقاط مشاهدات لأكبر خلل من نوعه تم رصده حتى الآن في

المجال المغناطيسي الذي يحمي الأرض، والذي نتج عـــن أحد أشد انفجارات الشمس عنفـــا. إلا أنهـــا عـــادت وأكدت على موقعها الرسمي أنه لا وجود لكوكب ثاني عشر في المجموعة الشمسية يُـــدعى (نيـــبيرو) ، وفي إجابتها على أكثر من ١٠٠٠ سؤال تلقتهم على موقعها ، يسأل عن هذا الكوكب ، وما سيحدث عام ٢٠١٢ . وخصّصت وكالة ناسا صفحة على موقعها للرّد على ما وصفته بـــ"الخرافات" التي نُسجت حول قصة نهايـــة العالم، وجاء ذلك الرد على لسان كبير علمـــاء معهـــد بيولوجيا الفضاء "ناسا" ديفيد موريسون، والذي ذكـــر أن قصصاً عن الكوكب المزعوم "نيبيرو" وتوقعات عـــن أن نهاية العالم ستكون في شهر ديسمبر من عام ٢٠١٢

وهذا أحد أسئلتها المجابة على موقعها الرسمي :

السؤال:

هل هناك كوكب يسمى **Nibiru** و الذى ســـيقوم بتدمير الأرض فى عام ٢٠١٢, لقد شاهدت فيديو عنه بالأمس و أصابنى بالذعر و أخذت أرتعش و أبكى, هل فعلا عالمنا وصل الى النهاية فى عام ٢٠١٢, الا نستطيع تفجير هذا الكوكب و نتخلص منه؟

الأجابة:

أنا بالفعل أســـف أن مجـــانين **Nibiru** هـــؤلاء قـــد ضايقوك, لقد مللت من كثرة الأجابة عن هذا السؤال لذا دعنى أقولها كأفضل و أوضح ما يمكن, ناسا لم تلتقط أو تكتشف **Nibiru** او أى شيء يشبهه

مجموعة الكواكب القزمة المكتشفة و الأبعد من نبتون لن تقترب من المدار الداخلى للمجموعة الشمسية و لـــن

تهـــدد الأرض, لا شـــيء ســـيحدث عـــام ٢٠١٢ .

Nibiru مجرد خدعة نتيجة لطائفة دينية صـــغيرة فى أمريكا لأفزاع الناس بقصص غير حقيقة

دافيد موريسون

كبير علماء ناسا

* * *

رد د. حسن باصرة :

وقد أكد الدكتور حسن باصرة رئيس قسم علوم الفلك والفضاء بجامعة الملك عبد العزيز ، أن شائعات انتـــهاء الأرض عام ٢٠١٢ ما هي إلا أوهام وأخطاء فادحـــة .فقد أكد أن انعكاس المجال المغنطيســـي لا يتســـبب في عكس حركة الأرض بل اتجاه حركة الأرض يتسبب في توزيع الأقطاب للمجال المغنطيسي الأرض. ثم حصـــر

دورة هذا الكوكب في ٤١٠٠ سنة وجعلها من أسباب انقراض الديناصورات أي في فترة ما بعد بناء الأهرامات والحضارة الفرعونية وما جاورها من حضـــارات وادي الرافدين والتي لا يوجد في آثارها ما يشير إلى وجـــود الديناصورات والتي تؤكد الأبحاث العلمية بأنها انقرضت قبل ملايين السنين. ثم كذلك نسب إلى المرور الأخـــير لهذا الكوكب انه تسبب في انفصال القارات عن بعضها البعض الذي ما عُرف بالانفجار الكبير وهنا نجد أننا أمام دراما لا يمكن أن يصل إليها مستوى أفلام الخيال العلمي في ربط مرور الكوكب بتزحزح القارات الذي حـــدث قبل ملايين السنين وبين نشاءه الكون أي قبل وجـــود المجموعة الشمسية ككل. كذلك هنالك الكـــثير مـــن الهرطقة التي سطرت لهذه الشائعة وتغذيتها بأرقام وبعض

من الحقائق المغلوطة لكي يكون لها في نفس المتلقي موقع ليقوم بتصديقها.

إلا أن البعض لم يصدق نفي ناسا للخبر ، ولعدم وجود كوكب نابيرو القريب من حجم الشمس ، وقالوا أنها قامت بالنفي لعدة أسباب ، منها عدم إشاعة الذعر بين المواطنين ، أو لأنها قامت باكتشاف كوكب بديل للأرض تمكن الحياة عليه وأسموه (شبيه نيبتون) وأكدوا أنهم سينقلون إليه صفوة المجتمع الأمريكي. إلا أن ناسا عادت وأكدت أنه لا يمكن إخفاء كوكب بهذا الحجم المزعوم لأن أي فلكي آخر سواء كان هاويًا أو خبيرًا يمكنه رصده وتأكيد الخبر.

في الوقت نفسه ، نسب إلى ناسا أيضًا شائعات أخرى تقول أنه في ١٢ سبتمبر من سنة ٢٠١٢ ستضرب

الكرة الأرضية عاصفة شمسية مدمرة بإمكانها أن تعيد العالم إلى عصر القرون الوسطى.

نتيجة قيام أسراب من الجسيمات شبه الفرعية المشحونة كهربائياً من الشمس بقرع الأرض وما يحيط بها بصورة دورية منتظمة.

إلا أن العديد من الناس يصرون على أن نهاية العالم ستكون في ٢٠١٢ ، بل وبدأوا يأخذوا احتياطاتهم لهذا اليوم ، وبدأوا بشراء العديد من المنتجات الوهمية التي تم تسويقها لهم على أنها تحمي من وطأة هذا اليوم العصيب.

* * *

والآن ..

ما الذي تعتقد أنه سيحدث حقًا في ديسمبر ٢٠١٢ ؟
تقديري الخاص ، أنه لن يحدث شيء طبعًا .

شائعات نهاية العالم منتشرة جدًا ، وأسبابها مختلفة ، هناك من أكد على نهاية العالم في بداية الألفية الثالثة ونهاية دورة الحياة ، ودوران الأرض بطريقة عكسية . وقد حكى د. مصطفى محمود في كتابه (الأحلام) عن مقابلته لرجل أخبرته العرافة أن نهاية العالم ستكون عام ١٩٦٨ وأنه يجب أن يخزن من كل أصناف الطعام والشراب والحيوان ، لأنه سيكون مثل سيدنا نوح (عليه السلام) سيقود العالم بعد الكارثة .

إن هوس الناس بتوقع نهايتهم متواجدٌ على مر العصور ، حتى في الميثولوجيا نجد (الراكناروك **Ragnarök**) وهي المعركة النهائية والفاصلة بين الآلهة بقيادة أودين ،

وبين العمالقة بقيادة لوكي ، وهي نهاية مذكورة في قصائد إيدا وفي نبوءة فوليسبا حيث سينتهي مصير الآلهة والعمالقة إلى الفناء وسيتم تدمير جميع العوالم.

أعتقد أن السبب هو النزعة الدينية والأخلاقية التي يوقن الناس في وجدناهم الجمعي بها . وبأن لهذه الحياة نهاية يأتي بعدها الحساب وتحديد المصير .

هذه الشائعات المنتشرة تخرج من نفسٍ تشعر بوطء أعبائها و بما اقترفته من آثام ، ومن ضميرٍ غير مستريحٍ في حاجة إلى معجزة تحدث كي يستطيع تعديل نفسه وأفعاله ويعود إلى صوابه .أعتقد أن هذه شائعات عن شعور عميق بالخطيئة وبالإثم ، ورغبة ملحة في التكفير عنها .

وأعتقد أن نهاية العالم ستأتي حينما لا يكون على الأرض من يهتم بقدوم هذه النهاية أو يؤمن بحقيقتها.



حكاية الفناء القادم

بقلم

مصطفى يحيى

ـ الفصل الثاني ـ

حكاية الفناء القادم

الفن مرآة المجتمع ، لقد قالوا هذا قديمًا وأكدوا عليه ، حتى صارت معلقات الجاهلية هي أفضل تأريخٍ لهذا العصر . ويقول د. مصطفى محمود – رحمه الله – في كتابه عن (الأحلام) أن الفن يعكس الهيستريا الإجتماعية ويشعلها ويؤكد حالات القلق التي نعانيها ويزيد عليها بحصار خارجي من الصور والمؤثرات والمهيجات تطيح بالبقية الباقية من النفوس السليمة .

إن المدخل الحقيقي لفهم أي مجتمع إنساني هو فنّه ، فهو يعرض فيه صورة كامله لحياته ومواقفه وآدابه ، بل

ويعرض بمنتهى الوضوح ثغراته النفسية والروحية . فهو نافذة إلى وجدانه الجمعي.

وإذا تناولنا السينما الأمريكية ، كجانب من جوانب الفن للمجتمع الأمريكي ، سنجد أن أكثر إشكالية تعرضها كثير من الأفلام ، هي فكرتها عن نهاية العالم ، والفناء النهائي . و الغريب أنها صارت أشبه بالموجة العاتية التي تكتسح ، ولدينا قائمة كبيرة من الأفلام التي تقدم تنويعات مختلفة لفكرة نهاية واحدة تقريبًا.

الفيلم الأول هو (**INVASION**) أو الغزو ، لـ نيكول كيدمان ، و دانييل كريدج ، وهو التقديم الرابع لرواية (جاك فيني) ، و التي تتحدث عن المرض القادم من شهاب عابر الفضاء ، يحوي جراثيم حية ذكية ، يسقط فوق الولايات المتحدة ، لتحتل أجساد البشر ، وتحولهم إلى آخرين ، لقد تحول المجتمع الأمريكي بعدها

إلى قسمين قسم مُصاب بالجراثيم متعاظم ، يحاول أن يسيطر على القسم الثاني البشري الطبيعي ، وإصابته بالفيروس مثله .

فكرة الفيلم تنقسم إلى شظايا متناثرة تتحدث كل منها عن شيء مختلف ، وهي عامرة بالتفاصيل الصغيرة التي يمكنك أن تخرج منها بأفكار مختلفة لكنها تتجمع في النهاية لتصل بك إلى فكرة شعورية أساسية ربما هي السبب الرئيس في صنع الفيلم .

هو فيلم يستخدم تيمة الاستحواذ القوطية ، إن المجتمع الأمريكي المتحضر المتقدم الرائع من الخارج ، يسيطر عليه من الداخل أفكار شيطانية جهنمية تجذبه إلى طريق مختلف في الخفاء ، ولن يستيقظ أحد إلا بعد إتمام التدليس بنجاح .

لقد أصاب الوباء القادم من الفضاء كل أفراد الأمن ، وبعض السلطات ، وهم يُطعِّمون الناس لنقل العدوى إليهم بدلاً من علاجهم ، إذن فقد تحولت السلطات إلى أجهزة معادية للمصلحة العامة وغير أمينة ، وهي تضر بالمواطنين الأمريكان . ربما كان في هذا أكبر إسقاط على إدارة بوش غير الحكيمة ، التي تحولت إلى صُنع أهداف خاصة وتحقيقها ، والسير بالمجتمع كله إلى ما يتعارض مع مصلحته العامة.

الفكرة الأخرى وربما كانت الأساسية في أكثر من فيلم آخر ، أن أمريكا (قلب التقدم في العالم الحديث) صارت هي منبع الفناء القادم لكل العالم ، لأن الشهاب يسقط في أمريكا ، ويصيب وباءه أكثر من صاحب سلطة في البلد ، الذي يعمل على نقل العدوى إلى العديد من الدول الأخري ، وينجح في هذا جدًا ، أي

أن أمريكا ، التي – كما يظن الأمريكان – سارت بالعالم نحو التقدم أو قادته في هذا ، هي ذاتها التي ستقوده إلى هلاكه ، وهي فكرة مرعبة إلى حد ، وتعكس شعور المجتمع الأمريكي بالوحدة ، وأنهم وقت شدتهم لن يجدوا منقذًا لهم (وإن كانت تحمل الفكرة الكثير من الغطرسة أو الغرور الأمريكي لكنها صارت مصدر إزعاج لهم) ، وربما تنبثق من هذه الفكرة صيحة استنكار لقضية القطب العالمي الأوحد ، وأنه لا بد من قطبين يتحملان مسئولية العالم ، و لا يجب أن يتحملوا مسئولية العالم بأسره وحدهم (ولازال هذا انبثاقًا لفكرة مترسخة في الوجدان الأمريكي بأنهم أفضل البشر ، و أنهم شرطة العالم).

الفكرة الثالثة أو الشعور العام الذي يظهر واضحًا جليًا في الفيلم ، هو الشعور بالوحدة ، والرعب من الآخر ،

وهي تظهر في نظرة الأمريكي للطرقات المغمورة بالبشر ، لقد صار الآخر ، والذي قد يكون جاره ، مصابًا بالوباء ، وهو ليس مسالًما ، بل يريد التدخل في حياته ، وقلبها رأسًا على عقب .

نأتي لنوعية الوباء الذي يصيب البشر ، هو نوع من البلادة ، وفقد كل الصفات البشرية ، والانتماء إلى فكرة الواحد الذي لا ينفصم ، لقد صار المجتمع كله واحدًا لا فصام فيه ، لا اختلافات فردية ، ولا عنصرية أو طبقية ، أو نزعات خاصّة ، لقد صار الكل واحدًا ، كأنه روحًا واحدة ، وعقلاً واحدًا بألف جسد .

وربما أكثر ما يوضح ما تحولوا إليه هو ماقاله أحد المثقفين الذين أصيبوا بالوباء لدكتورة (كارول) ، (تخيلي العالم وقد صار بلا حروب ، ولا أطماع ، ولا حقد بشري ، لو صار العالم واحدًا ، يفكر كشخص

واحد ، ويتطور كشخص واحد ، لقد صار العالم غير بشري بالمرة ، حروب في العراق ، وافغانستان ، ومن قبلها فيتنام ، موت ودمار وضياع ، كل هذا من أجل ماذا ؟).

هذا يفكرنا إلى حد بعيد بالاشتراكية ، أو الماركسية العلمية ، حين قُدم الفيلم من قبل في الستينات تحت اسم (غزو خاطفي الاجساد) كان هذا أكبر إشارة إلى الرعب الذي أصاب أمريكا من الاشتراكية السوفيتية آنذاك ، لكن الاشتراكية انتهت الآن.

فمن يقصد الفيلم بهذه الافكار ، وقد ماتت الاشتراكية مع الكيان السوفيتي القديم ؟ إعادة تقديم الفيلم – بعد تعديلات عديدة بالطبع على الفيلم القديم (الذي قدم مرتان أخرتان من قبل ، وهذا هو التقديم الرابع) – وفي هذا التوقيت ، لن يأتي حتمًا إلا من أجل رسالة

محددة الملامح ، وموجهة في رداء الفن إلى المجتمع الأمريكي ، لينتبه .

فمما تنطلق رسالة التحذير هذه ؟

إن أكثر من يتحدث عن هذا الـ (وباء الروحي) وأفكاره غير الآدمية ، والتي تغلف نفسها برداء الديموقراطية ، وهي أبعد ما تكون عنه ، هي طائفة العلمولوجيا ، أو الساينتولوجي ، وهي طائفة شبة دينية تقدم فلسفة علمانية ، أسسها مؤلف الخيال العلمي (رون هوبارد) ، والمضحك هنا هي فكرة الدين الذي تقدمه وقد أسسه بشري ، يحترف تقديم الخيال للناس .

فما هي الساينتولوجيا ؟

هي طائفة فكرية ، تزعم أنها دينية، هدفها مكننة الإنسان و علاقاته الإنسانية على جميع المستويات ، بدءً بالفرد و نهاية عند الدول . وهذا لاعتقادهم أن النفوس الإنسانية

تتغير بشكل غير قابل للحساب أو التنبؤ ، وفقًا للاختلافات الفردية مما يؤدي إلى أخطاء فادحة عند إتخاذ القرارات ، وقد تكون هذه القرارات غير منطقية ، وليست في صالح متخذها لكنها تكون اخلاقية ، وهذا خطأ فادح في نظر الساينتولوجيين .

لهذا وجب مساعدة الإنسان في التخلص من هذه الخصائص الإنسانية التي يرون أنها موطن ضعفه .

و يجب الرقي بالمعاملات الانسانية (وفقًا للفكر الساينتولوجي) إلى درجة إتقان عمل الماكينات. و يستدل أصحاب هذه الإتهامات على وجود العديد من القواعد و التمارين ضمن الحركة هدفها محو الإرادة الشخصية و تطويع الفرد في خدمة المؤسسة (الساينتولوجية) أو النظام عامة كضرب من ضروب الهندسة الإجتماعية .

مثل واجب (الطاعة العمياء) لمـــن فوقـــك في هـــرم المؤسسة و (عدم حق النقد) و عدة تمارين تتعلق بمكننة الحياة اليومية كتمارين على المشي و الضحك و الصراخ ...هدفها التخلص من التلقائية و المشاعر. و لعل الجدير بالذكر عند هذه النقطة أن الفكر الســـاينتولوجي هـــو إمتداد للتيار الذي يرى أن علم الإجتمـــاع و الـــنفس يخضع أو يجب أن يخضع لنفس مقاييس العلوم الهندسية.

و هنا تنشأ تعارضات مع بعـــض تشـــريعات الـــدول الديمقراطية التي ترى أن هذا التيار و الفكرة (تســـلب الفرد حريته) و بذلك تتعارض مع دستور الدولـــة و (تجعل إمكانية قيام نظام دكتاتوري أكثر إحتمالا) لتلك الأسباب تعتبر العلمولوجيا طائفة دينية سرية و حتى غير قانونية.

المشكلة هنا أنها تضم أكثر من عشرة ملايين عضوًا على مستوى العالم ، كلهم تقريبا من أثرياء العـــالم ، و مـــن ساسته ، وأصحاب السلطات ، بالإضافة إلى عدد غـــير قليل من ممثلي السينما ، كـــ (توم كروز) الذي صار الرجل الثاني في المنظمة النفعية غير الهادفة للربح – كما تصف نفسها – ، و كانت معه مـــن قبـــل (نيكـــول كيدمان) بطلة الفيلم ذاته ، و زوجة (كروز) ، قبـــل أن تنفصل عن الطائفة ، و عن زوجها فيما بعد .

وكذلك الممثلة (كيتي هولمز) خطيبة (تـــوم كـــروز) الجديدة ، واللذان اعتمدا (الولادة الصـــامتة) وفقًـــا للتقاليد الساينتولوجية المضحكة التي تتحدث عـــن أن الطفل يسجل في ذاكرته كل الصرخات التي تطلق عند ولادته مما يجعل لها آثارًا سلبية عليه في المستقبل ، كذلك

الممثل (جون ترافولتا) و زوجته (كيلي بريستون) و (آن ارتشر).

وهي منظمة تصف نفسها بأنها منظمة نفعية هدفها إعادة تأهيل الروح البشرية والوصول بها إلي مرحلة (الثيثان) وهي المرحلة البشرية الحقيقة – في نظر الساينتولوجيين – قبل أن تستحوذ عليها الأرواح الشريرة التي جاء بها أحد قادة المجرات منذ قديم الأزل ليقتلها على كوكب الأرض ، لتتفرق وتنتشر في أرواح البشر ، وتصل بهم إلى هذه الحالة التي هم عليها الآن .

ما يمثل خطورة هذه المنظمة ليس في بلاهة أفكارها ، ولكن في معتنقيها ، و هم لا يمكن الاستهانة بهم ، مفكرين ، وأدباء ، وسياسيين ، وفنانين عالميين ، تقدر ثرواتهم بالمليارات ، ويجيدون الترويج لافكارهم

بأسلوب مغلف بالانسانية ، والديموقراطية ، وهم أبعد ما يكونون عنها.

كل هذا يعكس شعور الوجدان الجمعى الأمريكي ، بالقشرة الجميلة المهترئة التي تظهرهم بأجمل ما يكونون ، والتي تخفي تحتها آلاف الجراثيم الروحية والانسانية ، والتي ستصل بالمجتمع الأمريكي كله إلي الفناء

بقي أن أتحدث عن أكثر جزء مضحك في موضوع الساينتولوجي ، وهو أن مؤسسه مؤلف الخيال العلمي (رون هوبارد) ، أسسه على سبيل الرهان مع صديق له على مليون دولار ، قائلاً (إنه من السخيف أن أكتب كلمة مقابل دولار ، في حين أنني يمكنني تأليف دين جديد أكسب من وراءه مليون دولار).

الفيلم الثاني الذي سنتحدث عنه هو (**IAM LEGEND**) أو (أنا الأسطورة) بطولة النجم

الأسمر (ويل سميث) وإخراج (فرانسيس لورانس) ، عن قصة للأديب الأمريكي (ريتشارد ماثيسن)نُشرت عام ١٩٥٤م. وهو إلى حدٍ يتحدث عن ذات فكرة الاستحواذ التي يبدأها مرض غريب ، لكن سبب المرض هنا هو محاولة اختراع علاج جديد للسرطان ، اعتمدت فيه الدكتورة مكتشفة العلاج على العبث بالشفرة الجينية للخلايا السرطانية ، ومحاولة تقويمها ، ليقتل المرض نفسه ، فكانت النتيجة هو العبث بالجينات البشرية للبشر أنفسهم ، وتخطي المرض كونة مجرد (سرطان) ليختل توازن الجينات البشرية نفسها ، ويتحول البشر إلى وحوش كاسرة ، تسكن في الظلام ، وتخشي النور والشمس .

يحكي الفيلم عن قصة عالم أمريكي يُدعى (روبرت نيفيل) ومحاولاته المستميتة لاكتشاف علاج لهذا المرض،

كل ما يبدو في هذا الفيلم ، بعيدًا عن صخب المطاردات والمؤثرات الهوليوودية المعتادة هو تسجيل أو تأريخ لحياة العالم (نيفيل) والذي يقوم بأسطورته في العام ٢٠١٢ ، مما يعني أنه لم يوجد أصلاً.

الفيلم هو امتداد لذات الفكرة القديمة التي بدأها (ويلز) التي تتحدث عن تقسيم البشر في المستقبل إلى بشر مرفهين يحيون فوق سطح الأرض حياة مرفهة ، بينما يعاني باقي البشر الذين تحولوا بسبب نوعية الحياة القاسية إلى ما يشبه الغوريلات ، لكنهم بشر ، وليسوا وحوشا مريضة كما اختار الفيلم أن يقدم .

الفيلم بدوره يتحدث عن رعب المجتمع الأمريكي من جنون العلم ، الذي قد يقوده إلى هلاكه ، ومحاولة لابأس بها من تقديم رسالة جميلة في أن يذكر العالم (نيفيل) ، منقذته الشابة الصغيرة ، بالمطرب الأمريكي

الأشهر (بوب مارلي) ، وهو يحكي لهـــا رســـالته في أن تكون الموسيقي والتسامح والسلام ، هي علاج البشـــر من غطرسطهم ، وجنونهم الأعمى ، و تعصــبهم تجـاة السُمر ، وهو نفس العلاج الذي يجب على البشر الآن أن يتعاطوه ، المشكلة أنها تأتي في لحظة – من الفـــيلم – غير منطقية ، لأن البشر الذين يتحدث عنهم مرضـــي ، ويحتاجون للعلاج ، وإنما قصد بهـــا الفـــيلم برســـالته مشاهديه ، وهي نقطة تحسب ضد الدراما التي يقـــدمها الفيلم ، حتى وإن كان يمهد لها بأغنية (مارلي) شديدة الروعة (**Donnot warry a bout a thing**) والتي خففت من كآبة الفيلم وســـوداويته ، ووضـــعت لمسة فنية رائعة ، و (نيفيل) يغنيها لـــكلبته (سامانثا) وهو يغسلها ، بعد مطاردة فاشلة لاصطياد غزالة بريـــة من شوراع نيويورك الخاوية .

الفيلم الثالث الذي سنتكلم عنه هـــو (**Resident Evil**) أو الشر المخيم ، وهو كان لعبـــة شـــهيرة ، تحولت بسبب شهرتها إلى فيلم من ثلاثة أجزاء ، بطولـــة (ميلا جوفوفيتش) و (ســـينا جولـــوري) وإخـــراج (أليكسندر ويت).

بداية الفناء ستأتي من فـــيرس متطـــور ، تم صـــنعه في المختبرات الأمريكية ، لكنه تعدى خطوطـــه الحمـــراء ليطيح بكل البشر ، ويحولهم من جديد إلى هذه الحيونات الكاسرة ، لكنها هنا تقل شراسة عن وحوش (د.نيفيل)، هنا هي أشبة بالزومبي ، في كسلها وبطأها ، وكثافتـــها غير العادية ، يمتلئ الفيلم بالعديد من التفاصيل ، منـــها محاولة استنساخ الإنسان السوبر ، ونجاحه نوعًا في هذا . هناك كذلك العديد من الأفلام الأخرى التي تتحـــدث عن نهاية العالم وفناءه مثل فيلم **The) Day after**

Tomorrow) بطولة: دينيس كويد، جاكي غيلنهال، ايمي روسوم، سيلا وورد، ارجاي سميث ، إخراج: رونالد إيميرخ والذي سبق موعد صناعته – الافلام السابقة – بفترة ، وهو هنا يختلف قليلاً عن أسلوب – جلد الذات – الذي اتبعته الموجة الأخيرة – فهو يستخدم تيمة الكوارث الطبيعية ، لقد تمرد الإنسان على الطبيعة وحاول جاهدًا أن يروضها ، لكنها في النهاية ، تثور ضده .

لا يختلف الفيلم في النظرة السوداوية لنهاية العالم ، والتي ستعود به إلى عصر جليدي ، عاشه الإنسان منذ قديم الأزل ، أي أن لنهاية العالم ستعود به إلى أوله ، وكأنها حلقة مفرغة يدور فيها الإنسان برغمه .

لكن يختلف الفيلم من ناحية فكرة ماهية النهاية ، أنها مجرد كارثة ستحيق بالجنس البشري المتطور المتقدم

الرائع ، بسبب تهوره ، وغباءه وطمعه في بعض الأحيان، و في محاربته للطبيعة ، التي تنقلب عليه ، وتغلبه.

وهو في هذا يختلف عن الأفكار الأخيرة التي تتحدث عن تحور الإنسان ذاته ليصير مجرد وحش حيواني ، يعيش بغرائزه فقط .

ويتدنى حتى عن الإنسان البدائي القديم ، فيفقد كل مميزاته الإنسانية ، وكل صفاته البشرية .

هناك قائمة كاملة من الأفلام التي مثّلت بدايات هذه الموجة ، وهي الحديث عن الطفرات البشرية ، التي تضيف عليه أبعادًا إنسانية ، أو تخلع عنه صفات بشرية عديدة ، ربما كانت بدايتها فيلم (**X men**) أو (الرجال **X**) الذي تحدث عن القوم المختلفون ، الذين يملكون قدرات خارقة ، ولدوا بها ، ولم يكتسبوها ،

وهو أعتمد على فرع علمي كامل هو (الباراسيكولوجي) أو علوم ما وراء النفس ، وهناك العديد من الإدعاءات في الباراسيكولوجي أن الإنسان كان يملك كل هذه القدرات الخارقة ، كـ (التحريك عن بُعد) ، (قراءة الأفكار) ،(الجلاءالبصري) ، (الجلاء السمعي) ، (التخاطر عن بُعد) ، (الإدراك فوق الحسي) و (الإدراك عن طريق غير الحواس) منذ قديك الأزل ، ثم جاءت الحضارة بكل أدواتها ، وأجهزتها ، لتطمس هذه القدرات الخاصّة ، لكنها ظلت متوارية في مكانٍ ما من عقل الإنسان ، لا تخرج إلا في حالات نادرة جدًا .

أعتقد أن فيلم (الرجال إكس) كان من الإشارات القطرات الأولي ، لهذا السيل الحالي في السينما الأمريكية ، التي تقلق كثيرًا من أنغلاق الدائرة ، وعودة

الإنسان إلى بدائيته ، وهمجيته ، وفقده لكل هذه التكنولوجيا ، التي وصل إليها ، أو أن يكون هذا التقدم هو سبب الدمار الذي سيحيق بالجنس البشريمستقبلاً .

هناك كذلك – من بدايات هه الموجة – وإن أتى علة استحياء – فيلم (**cat women**) أو (المرأة القطة) لـ هال بيري ، وهو هنا أستخدم تيمة (التحور) نتيجة (حادثة ما) ، بخلاف أمثاله من الأفلام (كالرجل الوطواط ، البشري الطبيعي الشجاع) أو (سوبر مان ، الكائن الفضائي القادم لتصليح حياة البشر).

أيضًا من الأفلام التي نظرت إلى بدائيات عمر الإنسان ، فيلم (**jurassic park**) أو (حديقة العصر الجوارسي) للمتميز ستيفن سبيلبيرج ، الذي تكلم عن عودة الديناصورات ، وصراعها مع البشر ، أي صراع

(البدائية المتوحشة) مع (التقدم العلمي) ، مثله مثل (أنا الأسطورة) و (الشر المقيم).

وينضم إلى نفس القائمة أفلام مثل – مع اختلافات تفاصيل كل فيلم – :

(كوكب القرود planet of the arabs) ، (هانيبال–hannibal)الأربعة الرائعون– Fantastic Four –) ،(متحف الشمع – house of wax) (الجزء الأخير من المهمة : المستحيل –Mission: Impossible ١١١ –) .

كلها تتحدث عن الخوف من تحورات انسانية تفقده انسانيته ، أو الخوف من فيروس متوحش .

كلها تتحدث عن تحور الإنسان وتوحشه نتيجة (حادثة ما – فيروس متطور أو قادم من الفضاء – اختلالات جينية مكتسبة أو طبيعية)

كل هذا قد يكون خوفا حقيقيا من التقدم العلمي غير الواعي ، أو خوفا من العودة إلى أطوار البدائية نتيجة طفرة ما تحول الإنسان إلى مجرد وحش كاسر ، فاقد آدميته .

وقد تمثل مجرد رمز خفي ، يشي بقراءة للعالم الخارجي ، بكل حروبه ، واستغلالاته الإستعمارية ، والتي كان يشنها (بوش الصغير) نفسه ، ضد العالم ، فلا يُكسب أمريكا إلا مزيدًا من الأعداء الذين لن سقفوا جوارهم حتمًا إذا ما حاقت بهم كارثةٍ ما .

في الأعم هي رسالة تحذيرية هوليوودية ، لكل ذنوب البشر التي يقترفوها على مر العصور ، والتي صار تجاهلها ، أو مغفرتها مستحيلة تقريبًا .

إن أخطاء الآباء التي يقترفها العالم الآن ، في شبابهم وحماسهم ، ورعونتهم ، لن يدفع ثمنها إلا ابناءهم وأحفادهم من دمائهم ، وحياهم .

(إن أخطاء الآباء لا تسقط بالتقادم ، وقد حان وقت العقاب) هذه هي الرسالة التي أرسلتها آخر نسل الشياطين على الأرض (أم جرينديل) – في فيلم آخر حاول أن يقدم رسالة زائدة هو فيلم (**Beowulf**) (بيوولف) – إلى الملك (بيوولف) الذي اقترف معها الإثم في الماضي .

إن بيوولف ، المحارب البطل الشجاع الأسطورة ، الذي لا يشق له غبار جاء إلى امبراطورية كبيرة في شمال العالم ، كي يخلصها من إثم ملكها (هروثجار) الذي اقترف الإثم قديمًا ، وضاجع الشيطانة ، ليولد الوحش (جرينديل) عدو الإله .

لقد جاء (بيوولف) الأسطورة ليقتل الوحش ، ويخلص العالم من شروره ، لكنة بسبب غباءه ، أو رعونته ، أو غروره ، أو طمعه أو ربما قلة معرفته ، اقترف ذات الإثم مع الشيطانة التي تغوي الأقوياء فقط .

وكان ثواب الذنب ، الذي منحته الشيطانة لـ بيوولف ، هو أن امتلك هذه الامبراطورية الشاسعة ، وامتلك معها القوة ، والشهرة ، والبطولة .

حتى كبر الوحش الوليد ، نتاج الذنب الشنيع ، فحان وقت العقاب ، كما أرسلت الشيطانة لبيوولف .

إلى هنا ، لا يختلف بيوولف عن سابقه هروثجار ، فما السبب الذي تحول من أجله (بيوولف) إلى أسطورة ؟

إن بيوولف أسطورة اسكندنافية ، نتجت في العصر القديم ، الذي اشتهر بمحاربة الوحوش وقتلها في الدول الاسكندنافية ، ومضاجعة الإناث منها في بعض الأحيان

، لكن الفيلم هنا يعيد قراءتها رامزًا إلى بيوولــف بـــ أمريكا بأكملها ، التي جــاءت إلى العــالم ببطولتــها ، وتقدمها ، وثقافتها ، بعد تولــت قيــادة العــالم مــن الامبراطوريات السابقة ، لكنها للأسف لم تتفادى نفس أخطاء من سبقها ، مثل بيوولف ، بســبب غرورهــا ، وغطرستها ، وطمعها .

لكن لماذا تحول بيوولف إلى أسطورة ؟

لأنه لم يركن مهمة إصلاح ما فسده إلى بطل آخر ، قد يكرر الذنب من بعده ، بل تولى مهمة إصلاح ما فسده إلى نفسه ، وقام بمحاربة التنين – إبنه من الشــيطانة – ودحره ، ومات معه .

وهذا هو الواجب الذي يلقيه الفيلم على عاتق أمريكا ، لا بد من إصلاح ما فسدته ، كي تســتحق أن تكــون أسطورة .

طبعا لا ينعدم هذا من ذات النظرة الأمريكية المتغطرسة لنفسها ، والمنتشرة بشكل بشع في معظم أفكارها .

وربما بسبب هذا الحل الذي يقدمه الفــيلم ، اكتســب أهميته ، ليخرجة المخرج المتميز ، صاحب (فورســت جامب) ، (روبرت زيميكس) ، ويشارك فيه أسماء لها ثقلها مثل (جون مالكوفيتش) و (انتوني هوبكنز) و (انجلينا جولي) .

وإن لم يخلوا الفيلم – مثل سابقيه – من الحديث بشكلٍ ما عن الوحوش التى يشارك الإنسان في صنعها ، ويقــع على عاتقه عبء مواجهتها ، ويعاني من خطورتها علــى حياته.

النظرة العامة على المجتمع الأمريكي ، ووجدانه الجمعي من خلال هذه النوافذ التي تطل مباشرة على روحــه ، تشي بالكثير جدًا .

هو اشبه بالمجتمعات أو التجمعات الأنثوية التي تنغلــق على ذاهّا ، وتصنع أحلامها الخاصة ، ومع أول اختلاط لها بالحياة العملية ، أو الحقيقية ، تصطدم به ، وترفضه ، لكنه يؤثر فيها بدرجة ما ، وهي ترفض هذا التأثير بكل شراسة ، وتبدأ في صنع الغلاف الرقيق الذي لا يعكس حقيقتها ، ولكن يُظهر ما تريده الأنثي فقط .

وهذه الأغلفة الرقيقة تبدو في أكثر من شيء ، في (إسم آخر) تطلقه على نفسها وتري ذاهّا فيه ، في (أفكــار ومبادئ تدعيها و لا تعتنقها) ، للكذب على نفسها ، في (التحرر) الذي تدعيه ، وتطالب به ، لكنها تطالب أن تتمتع به فقط ، لا أن يكون واجبًا عليها ، في (العالم

المختلق) الذي تكونه في خيالها ، وتعتنقه ، وتراه واقعًا حيًا .

المجتمعات الأنثوية ، هي مجتمعات مزدوجة التكــوين ، دومًا هناك بداخلها هذا الصراع الدائر بين ما كانــت تتمناه و تريده ، وبين ما صارت عليه فعلا .

إختلاف الهوة هنا ، يصنع الإزدواج ، التي قد يصل في كثير من الأحوال لبارانويا غير مبررة .

ويكون الحل المقبول ، والذي لا يوجد ســواه ، هــو الإدعاء غير الحقيقي ، حد إيهام الذات ، بأنها بالفعــل الصورة التي تريدها ، وتتمناها ، لكن للأسف يبقي دومًا هذا الوسواس ، الذي يخبرها أنها ليست ما تراه .

فإذا ما كان هذا حال النفس الأنثويــة الواحــدة ، أو تجمعاهّا . فكيف يكون الأمر داخل مجتمــع أنثــوي في سلوكه الظاهري – كالمجتمع الامريكي – ؟

يقول الأديب الأمريكي (تشاك بولانيك) واصفًا المجتمع الأمريكي بأنه مجتمع من الرجال ربتهم أمهات وحيدات.

إن المجتمع الأمريكي ليس مجتمعًا قويًا متماسكًا يقف على أرضٍ صلبة كما قد يتصور البعض ، بل هو على العكس تقريبًا . مجتمع يعاني من الخوف والتردد ، والشعور بأن هناك آخر يستحوذ على عقله وحياته ، ويتحكم في مصيره ، ربما كان هذا لانعدام ثقته في وسائل إعلامه ، ويقينه بأنه مُسّيَّر لما لا يعرف كنهه وحقيقته. هذا منحه شعورًا عميقًا بالرعب من الآخر. فهو لا يثق في جيرانه ، في زميل العمل ، في الصديق الذي انفصل عنه لفترة طويلة من الوقت ، فلم يعد يعرف ما الذي صار إليه. والمشكله أن هذه الأحاسيس

هي ما تسيره فهو لايؤمن – إلى حدٍ – بالقيم ، ليقينه في أن الآخر لن يتبع هذه القيم في تعامله معه.

وهو بالإضافة لهذا لديه شعور بعدم الثقة في التفوق الذي يُذاع أنه وصل إليه. هذا يشعره بمسئوليته تجاه العالم ، فإن كان قادرًا على أخذه إلى الجحيم بحروبه ، فهو ليس لديه القدرة ولا الكفاءة بأن ينقذه من أي خطرٍ قادمٍ .

إن قيم المادية والرأسمالية والعلمانية التي تتكلم عن المصالح الخاصة ، التي يعيش فيها وعدم وجود قيمة معنوية أو روحية حقيقية يلتف حولها تفقده الأرض التي يقف عليها ، وتفقده الأمان النفسي والروحي .

إنه مجتمعٌ يوقن في وجدانه الجمعي أنه من صنع الوحش من جراء ما اقترفه من إثمٍ وكوارث ، و قد بدأ هذا

الوحش في تهديد أمنه النفسي والمادي. إن حياته تنقلب
عليه ، ويلتهم نفسه.



لا مكان للرمز

بقلم
مصطفى يحيى

ـ الفصل الثالث ـ

لا مكان للرمز

تعتمد الصحف القومية طريقة مشهورة جدًا في الحديث عن رؤساء مصر بعد ثورة عام ١٩٥٢ . فجمال عبد الناصر هو الوطني الشجاع ، و أنور السادات هو السياسي الداهية ، وحسني مبارك هو الرجل الحكيم . في حين أنهم يهملون تمامًا محمد نجيب ، ولا يعترف البعض منهم بتوليه السلطة لأكثر من يومين.

هذه هي رموز الحياة السياسية، أما من الناحية الفنية فلدينا ثلاثة رموز عملاقة أخرى لا يقدر أحد أن ينكرها ، وهم أم كلثوم ، ومحمد عبد الوهاب ، و عبد الحليم حافظ. لو لم تكن تحب الاستماع إلى أي منهم فأنت

مشكوكٌ في وطنيتك وربما تكون غـــير مصـــري مـــن الأساس. في الأدب هناك طبعا نجيب محفوظ أعظم رموز الحياة الأدبية وما عاداه باطل. إذا أردت أن تمدح أحدًا فلا بد ان تقول أن كتاباته تذكرك بعظمة نجيب محفوظ . وإذا أردت أن تذم نفس الشخص يكفي أن تتحدث عن العصر اللقيط معدوم الهوية الذي يشبه فيه الصعاليك ، بأباطرة الأدب.

في الفن والسينما فنحن نفتقد عظمة وروعة وبهاء ونقاء زمن الفن الجميل ، حيث كان لدينا يوسف بك وهبي و أنور وجدي ، وشادية و سعاد محمد ، و ماجدة ، ونجاة، وفاتن حمامة .. إلى آخر القائمة.

هذه هي الرموز التى تعتمدها الصحف القومية والناطقين باسمها ، أما صحف المعارضة والمنتمون لها ، تجد النقيض تقريبًا ، فجمال عبد الناصر هو البلطجي الذي ســـرق

مصر من محمد نجيب وهو المريض النفسي الذي كـــان يعذب معارضيه في السجون ، وأنور الســـادات هـــو الطاغوت الذي جاء إلى مصر ، والعميل الذي جاء لنـــا باتفاقية سلام موبوءة ، أما حسني مبارك فهـــو الرجـــل الذي تربع على عرش مصر منذ أكثر من ربع قـــرن ، وخلافه.

عبد الحليم حافظ كان ضعيف الموهبة التمثيلية ، وكان بالإضافة إلى أم كلثوم يحارب المواهب الشابة التي يمكن أن تنافسه ، عبد الحليم يستخدم علاقته بالمخـــابرات في مسح أي موهبة صاعدة ، وأم كلثوم تستخدم معرفتـــها بكبار الساسة ، بل وبالرئيس جمال في نسف أي صوت ناشئ ، حتى أنها هاجمت رياض السنباطي بعنف عنـــدما لحّن لشهرزاد بعض أغانيها . ونجيب محفوظ هو الفاسق الداعر الذي تلقى جائزته بسبب سب الإسلام. أما زمن

الفن الجميل فتهكمهم الدائم عليه بأغنية الزمن الذي كان يقال فيه (يا شبب الهنا ، يا رتني كنت أنا).

منذ فترة طويلة كنت جالسًا على المقهي مع مجموعة من جيلٍ يسبقني بثلاثة اجيال تقريبًا ، معظمهم في العقد السادس والسابع. كنّا نتحدث في السياسة ، عندما قرأ أحدهم خبر الحكم على ابراهيم عيسى بالسجن. قال أحد الجالسين في غِل ، (أحسن ، عشان يحلق شنب أمه ابن الـ .... ، هو فاكر نفسه راجل ؟) صدمتني العبارة بمنتهى العنف ، هو ليس متفقًا مع الحكم لأنه يرى أن إبراهيم عيسى مُدان فعلاً ، أو لأنه سيئ ، ولكن لأنه يرفض شاربه. ثم ما دخل شاربه في القضية ؟ وهل لو تم ادانته سيقوم الرجل بتنكيس رأسه وحلاقة شاربه ؟

هذا الرجل يشعر بكسر العين ، يعرف يقينًا أنه في بلدٍ تهين الحريات و لا تهتم بكرامة أحد ، بل ما هو أكثر إنه قد تم إهانة كرامته في بلده ، وهو قد ارتضى بهذه الإهانة وصمت ، ويريد أن ينال كل من حوله ما ناله هو حتى لا يشعر بالخزى والعار.

ولفترة طويلة – وربما بسبب هذه الحادثة – كان ابراهيم عيسى يعني لي الكثير ، وكنتُ أهتم بقراءة كتاباته ومتابعة أخباره. على أن هذه المتابعة الشديدة أفهمتني حقيقة الرجل. وسقط الرمز في نفسي. حينما يتحدث رجل وصحفي عن الديمقراطية والحرية ولا يطبقها مع من هم دونه في جريدته فهو هنا يبحث عن الوسائل أن تصل به إلى مجده الشخصي. صور جيفارا التي يعلقها في مكتبه توضح حقيقته إذا ما اسقطنا عن جيفارا أفكاره وورومانسيته ومبادئه ، وأبقينا شهرته

وصيته ومكانته في النفوس ، هذا هو ما يراه الرجل في جيفارا. تابع أي من برامجه التلفزيونية (وسيساعدك اليوتيوب في هذا كثيرًا) وستجده لا يسمح لضيفه بلحظة يتكلم فيها ، إنه لا يجد وقتًا لأنفاسه خوفًا من أن تفوته لحظة لا يتكلم فيها.

ثم تابع كل صحفيين المعارضة بذات القُرب ، وسيدهشك ما ستجده. معظمهم إن لم يكن كلهم له أطماعه الخاصة ، إما أطماعًا مادية ، أو أطماعًا سياسية في الأغلب. تابع ما حدث في حزب الغد الذي أكل ذيله من كثرة جوعه السياسي. موسى مصطفى ليس أفضل من أيمن نور ، ولم يكن نور أفضل منه. أحدهما رغب في الوصول إلى كرسي الحكم لا رغبة في الإصلاح ، ولكن بحثًا عن المجد الشخصي. والآخر تم توطينه ديموقراطيا ليصير زقاقًا في الشارع الرئيس.

أسامة سرايا الكاتب الذي كان معارضًا وأظهر في مجموعة من مقالاته القديمة جدًا بعضًا من عيوب المجتمع ، وهاجم الكثير من مساوئ النظام السياسي. تم تدجينه في الحظيرة ليخرج كاتبًا قوميًا لا يشق له غبار، ويجلس على رأس أكبر صحيفة قومية في البلد.

محمد حسنين هيكل ، الصحفي الأسطوري الذي غيّر حقائق وتاريخ البلد كما يهوى ، ليخرج في النهاية بتأكيد روعته وشهادته على كل عصور مصر بعد الثورة. فهو كالشاعر يكتب من منطلق إحساسه وشعوره ، ومن هنا يفقد مصداقيته ، حينما يكتب (خريف الغضب) وهو في السجن في عصر السادات ، كيف تتوقع أن يكون صادقًا في كل ما يقوله أو في معظم ما يقوله. هو استخدم مهنته وأدواته التي لا يضاهيه فيها أحد ليمدح من يريد ، ويسب من يريد ،

وقد وصل إلى مرحلة أنه لا يشعر بأهمية نقده أو من يعارضه ، بل هو في الحقيقة لا يرى من يعارضه. فكيف أصدق أنه صادق في بحثه عن الحقيقة حينما أقرأ له أو أسمعه؟

لن أتحدث عن كتّاب المعارضة فهم طبالى البلد ، إذا قامت قاموا ، وإذا جلست جلسوا. يستخدمون مواقعهم كـ(سبوبة) جيدة ، ويبذلون قصارى جهدهم للحفاظ على الفرخة التي تبيض ذهبًا.

الحقيقة أننا في بلدٍ بلا رموز ، بلد يبحث كل من فيها عن قطعةٍ من الذبيحة التي تموت ليخطفها ويهرب. فكيف تطالب في بيئةٍ كهذه بالتربية السليمة والتقويم ، كيف تعاقب وقد تحول تنفيذ العقاب لمن لا يقدر على الفرار منه. فإذا اوصلتك نفوذك للهرب والتفادي

فمرحبًا بك في النادي ، وإن عجزت فأنت في بلد الديموقراطية التي لا تتساهل في تنفيذ القانون.

كيف تعاتب الشباب على عدم تقديرهم لقيم الحق والجمال والخير ، التي يدرسونها لهم في كتب الفلسفة؟

الحقيقة أنك كي تُدرس الفلسفة وتطبقها لا بد أن تصل إلى درجة ما من تقدير المعنوي ، والشفافية الروحية. ولهذا فهذه البلد بلا فلاسفة. لقد رحل آخرهم منذ دهر دون أن يشعر أحد بقيمته ولا بأهميته، وأقصد طبعا د. زكي نجيب محمود.

كيف تسمح حياة مادية كهذه بخروج فيلسوف – بافتراض وجوده – إلى الحياة العامة؟ فلن يلتفت إليه أحد ، ولن يشعر بقيمته احد. وربما تنقلب عليه فلسفته ليتحول إلى مجنون.



عن الإيمان بالله

بقلم
مصطفى يحيى

ـ الفصل الرابع ـ

عن الإيمان بالله

على الإنترنت ، تكثر مواقع الإلحاد والملحدين واللامنتمين ، العلمانية تتكلم في تعريفها البسيط عن فصل الدين عن الدولة ، أي إبعاد الدين عن الحياة السياسية وعدم تأثيره فيها . فهي بالأساس تعترف بالدين ، وتعترف بوجود إله ، فهي ليست تيارًا دينيًا .

وفي مناقشات كثيرة مع ملحدين ومع لا منتمين ، الملحد ينكروجود إله ، أو على أقل تقدير لا يؤمن بوجود إله ، واللا ديني أو اللا منتمي يعترف بوجود إله بطريقته الخاصة المختلفة.

في عبارة مهمة قالها د. يوسف زيدان في روايته المهمة (عزازيل) في محاورة بين الراهب هيبا وعزازيل ، قال أن

الإنسان هو من يخلق لنفسه في كل زمنٍ إله يـؤمن بـه ويعترف به.

أيهما خلق الآخر ؟ الله خلق الإنسان وخلق كل الوجود ؟ إم الإنسان يخلق لنفسه في ظلمائه إله يؤمن به ؟

إن البحث عن الخالق إشكالية كل عصرٍ علـى مـدار التاريخ ، والصدق في البحث سيصل بك إلى الحقيقة .

كيف تؤمن بالله ؟ وكيف ترى الله ؟

رأيي الخاص أن الدين يفضي إلى الفلسفة ، والفلسـفة هي الوجه الآخر للدين . التفكير المنطقي والسويّ يؤدي إلى الاعتراف بوجود إله واحد أحد هو من خلق هـذا الكون بأسره . لكنني لا أعرف مكانه تحديدًا هل هو في السماوات ، أم في الأرض ؟ لا أعرف مكانـه لسـببٍ بسيط هو أنه من خلق المكان . فلا يمكن قياسه بشـيءٍ من مخلوقاته.

لا يمكن أن أصف الله بأنه كيان عبقري ومبـدع ، لأن الله هو من خلق كل الكيانات ، وخلق العقل والـذكاء والعبقرية والإبداع . وهذه مقاييس إنسـانية وليسـت مقاييس إلهية ، كي أصف بها الإله الواحد .

لو أن الإنسـان اختـرع الروبـوت الآلي بالـذكاء الإصطناعي ، ثم طلب من هذا الروبـوت أن يصـف الإنسان ، فلن يكون الوصف صـحيحًا لـو وصـف الروبوت الإنسان بأنه (برنامج عبقري متطور) أو أنه (قاعدة بيانات قوية). هذه المواصفات لا تصف الواقـع فعلا.لأن أكثر كلمة تعبر عن الإنسان هي أنه إنسـان . لو لم يوضع في ذاكرة الروبـوت كلمـة (إنسـان). فسيفشل الروبوت في وصفه.

مصطلحات ومفاهيم الروبوت ، مفاهيم صنعها الإنسان ، وهي مفردات تقنية أو اليكترونية ، وهي تظل عاجزة

وقاصرة أمام المفاهيم والمفردات الإنسانية ، فمفهـــوم (قاعدة البيانات) مفهوم قاصر أمام مفهـــوم (مرجعيـــة علمية أو معلوماتية). لأن المعلومات هي المرحلة المتقدمة للبيانات بعد تشغيلها ، وكلمة قاعدة تدل على شـــيء ثابت غير مرن ، في حين أن المرجعية هي معرفة متكاملة. بنفس المنطق فالمفاهيم الإنسانية قاصرة وعـــاجزة أمـــام المفاهيم الإلهية . فلا يمكن أن يعبر عن الإله إلا (إله).
إن الله موجودٌ في كل مكانٍ حولي ، وأنا أشـــعر بـــه في أنفاسي ، وفي دقـــاتِ قلـــبي ، وبـــين جـــوانحي ، وفي الموجوداتِ من حولي. أشعر به في داخلي ، وفي خارجي.
إن الله موجودٌ في كل ذرة من ذراتِ هذا الوجود ، حين قال " منصور الحلاج " : (ما في الجُبّـــــةِ غـــير الله).
اتهموه بالزندقة والكفر . لأنهم ظنوا أنه يدعى الإلوهية ، لكنهم لم يفهموا المرحلة الإيمانية التي وصل إليها . أنـــه

يشعر بامتزاجه بمخلوقات الله ، وبالطبيعة وبالوجود من حوله. وأن كل هذا الكون وجودٌ واحدٌ بأنفسٍ متفاوتة ، وقد تجلى الله تعالي فيها كلها.
(ما في الجُبةِ غير الله). لأن الله في داخلي ، وقد سيطرت تعاليمه على كل جوارحي ، فلم يعد بداخلي غير الله ، وقد تضاءلت أمام عظمته كل نفسي ، وكل شروري و آثامي . ويقول الحلاج كذلك : النقطة أصل كل خط، والخط كله نقط مجتمعة. فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف فهـــو متحرك عن النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بصر أحـــد فهو نقطة بين نقطتين. وهذا دليل على تجلّي الحق مـــن كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين. ومن هذا ُقلت: ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه.

هكذا أري الله ، وأحبه . وهكذا أؤمن بوجوده ، وأعترفُ له بالإلوهية ، والوحدانية .

وينبثق من هذا الحب وجودي بأكمله ، ويدل على هذا الحب أفعالي . ورغبتي الشديدة في أن يكون الله هو قدوتي و أسوتي . فأحاول التشبه بصفاته التي حدثنا عنها ، وقد أخبرنا الله تعالي عن تسعة وتسعين اسمًا أو صفة من صفاته. وهي نفسها صفات الله – تعالي – التي أحاول التشبه بها ، والسير على نهجها.

وباعترافي بإلوهية الله – تعالي – تأتى أفعالٌ أخرى تدل على هذا الاعتراف ، وهذا الإيمان ، وهى العبادة . عبادة هذا الإله الذي خلقني وخلق كل شيء ، عبادته حبًا له ، وإيمانًا به وبوجوده ، العبادة التي تقربني منه وتجعلني ألتقي به .

لا يمكنني أن أدعى أنني أحب الله ، وأعترف له بالإلوهية والوحدانية . بالكلام فقط . ولكن لا بد مما يقر هذا الحب و هذا الإيمان . ويدل على وجودهما.

السؤال الآن : كيف اخترت أن تحيا وقد عرفت الله ؟

إن الحياة أمامنا واسعة وشاسعة . مساحاتٌ من الأفعال الحرة التي في اختيارك أن تفعلها ، وتقوم بها ، وترفض وتثور فيها على كل العادات والتقاليد والطقوس والروابط التي تمنعك عما تريد أن تقوم به .

هذه حريتك ، وكونك لا تفعل هذا ، فهذا يعنى تنازلك عن هذه الحرية بكامل رغبتك ، وقبولك للقيد . لكنه لا يعني أنك لست مخيرًا فيما تقوم به .

إذا أمرك / نصحك / وصاك أحدٌ بشيءٍ ، فلك الحرية في أن تقبله أو ترفضه .هذه هي الحرية التي جُبلت عليها.

من وسط كل هذا ، أيُ جانبٍ من الحياة قررت أن تحياه ؟ وكيفَ قررتَ أن تحيا فيه ؟ والسؤال الأهم : لماذا قررتَ أن تحيا فيه ، وبهذه الكيفية؟

أنت ستحيا الحياة التي تعبر عنك . التي سيفرضها عليك فكرك واتجاهاتك السلوكية . فمن وسط هذه الحياة الشاسعة ، أين قررت أن تترك نفسك تقودك ؟ وهل ستندم – في نهاية حياتك – على شيءٍ فاتك ولم يسعفك الوقت ولا التفكير في أن تفعله أو تصل إليه ؟

أن تحدد اتجاه مسارك في بداية الطريق ، هذا يتطلب أن تحدد هدفك من هذه الحياة منذ البداية . وبشكل أكثر وعيًا وإدراكًا. أنت ستحدد هدفك الذي سيعبر عن كينونتك. فإذا وصلت إليه في النهاية . رضيت لما وصلت إليه لأن هذا ما يساوي قيمة حياتك . فما هي قيمة حياتك ؟

بالنسبة لي : أنا اخترتُ أن أحيا كـ عابر سبيل.

حينما أنظر إلى الحيوات السابقة من حولي ، أو أقرأ عنها في كتب التاريخ . أتوقف للحظاتٍ وأتساءل : ما هي القوى التي كانت تحركهم ؟

وما الذي دفعهم لهذه الأفعال بالضبط ؟ وما الذي تبقي لهم الآن بعد أن انتهت كل حيواتهم.

ولنأخذ مثالاً في سيرة "إخناتون" الذي أحبه بشكلٍ خاصٍ . هذا إنسانٌ قضي حياته بحثًا عن الحقيقة ، حقيقة هذه الحياة ، وحقيقة خالقها . فكانت قيمة حياته هي الحقيقة التي وصل إليها ، ودعي لها . هو لم يكن رسولاً ولا نبيًا ، بل مجرد إنسان قرر أن يبحث عن الحقيقة ، ويكافح من أجل الوصول إليها والدعوة لها .

ولنتساءل عن القيم التي كان يدافع عنها أعداؤه كهنة آمون ؟ إنها قيم دنيوية جدًا ، ومادية . يدافعون عن

سلطاتهم التي كانوا يستمدونها من آمون ، ولم يفكـــروا للحظة في البحث عن الحقيقة ، ومحاولة التفكر في الإيمان بالله .

قيم حياتهم كانت مادية وزائلة ، وحينما أتوقف وأنا أقرأ سيرهم أتساءل : أين هم الآن ؟ وكم كانت هامـــاتهم ضئيلة وحقيرة ولا تتساوى إلا مع ما سعوا إليه ! لقـــد انتهوا وانتهى سلطانهم ولم يعد يبقي من وجـــودهم أي شيء . وهكذا أرادوا أن يعيشوا حياتهم.

لكي تعرف كيف تريد أن تحيا هذه الحيـــاة ، يجـــب أن تحدد كيف ترى الحياة ؟

الحياة – بالنسبة لي – نسبية جدًا ، لا توجد فيها ثوابت ولا مطلق . كل شيءٍ مرتبطٌ بآخر في حلقاتٍ متصلة لا نهائية .

لا يوجد صوابٌ مطلق ، ولا خطأٌ مطلق. لأنهما في كل الأحوال يجب ربطهما بـــالموقف أو الحـــدث ووضـــع المقاييس العقلية لقياس مدى الصواب والخطأ . ربما لهذا اخترعوا الاستثناءات من القواعد والقوانين .

حتى الحياة والموت كذلك نسبيين. وأعنى هذا حقيقةً لا مجازًا . فلا موتُ الجسدِ موت ، ولا موتُ الروحِ موتٌ حقيقي . ليس كل من يحيا بجسده فهو حي . وليس كل من تذويه القبور ميتٌ . أنا أعنى هذا بالفعل. ولا دخل للخيال أو الرمزية أو الرومانسية أو الرؤى الفكريـــة في الموضوع .

فإدراك الحياة بدوره نسبي جدًا ، ونحنُ لم نـــدرك – في الحقيقة – الطبيعة التي حولنا ، و لا الأحداث على مـــر العصور، ولا الحياة بأكملها ، لأننا نـــدركها بحواســـنا:

اللمس، النظر ، السمع ، الشمّ ، و التذوق. لو نظرنـــا إلى حقيقة هذه الحواس سنجدها قاصرة جدًا .

النظر على سبيل المثال ، في أفضل حالاته وأروعها ، لا يرى دقائق الأجسام الصغيرة ، ولا ضـــخامة الأجـــرام البعيدة. لا يرى تفاصيل الأجساد ولا يتخللها ، ولـــو كانت العين ترى بأشعةٍ أخرى غير الضوء ، لاختلفـــت تمامًا طبيعة الحياة والموجودات التي ندركها .

العالم المُدرك عن طريق عيوننا ، هو عالم مختلف في الحقيقة عن العالم الخارجي الفعلي ، لأن الإدراك الذي يأتينا عن طريق العقل هو صورة متكونة في داخلنا عـــن طريـــق النظر، العين التي تلتقط التـــرددات أو الذبـــذبات أو الإشارات الكهربية عن طريق الفوتونـــات أو الحـــزم الضوئية فتنقلها للعقل الذي يفسرها في شكل صـــورة وألوان ومجسمات ، لكن الحقيقة أنه لا توجـــد ألـــوان

،النظرية القديمة عن أن الأجسام تمتص كل الألوان عدا لونًا يكون هو لون هذا الجسم يمكن فهمها بشكل آخر ، هو أن الجسم يعكس ترددًا ما تنقله الفوتونـــات إلى العين التي ترسله للعقل الذي يعطى لونًا ما لهذا التـــردد بعينه ، ويختلف هذا اللون في طبيعته من إنسان لآخـــر وفقًا لتفسير كل عقل ، فما يمكن أن أعتبره أنا أحمر تراه أنت أخضر ، لكننا في النهاية اجتمعنا على تسمية هـــذا التردد باللون الأحمر ، هنا نكتشف بصـــعوبة أن كـــل إنسان يرى العالم الخاص به – إذا قسنا هذا التفسير على باقي الحواس – والذي يمكن أن يختلف تمامًا عن عـــالم الآخر ، والذي بدوره – و في الحقيقة – لا يقابل أصل المادة الموجودة في العالم الخارجي .

السمع – كمثالٍ آخر – عبارة عن تحويـــل الموجـــات الترددية ، إلى صوت مسموع ، لكن في حقيقة العـــالم

الخارجي لا يوجد صوت ، ولكنها مجرد طاقة تختلف طبيعة إدراكها من مخلوقٍ لآخر.

إن الحقيقة المتواجدة في العالم الخارجي ندركها بأشكالٍ مختلفة ، لنكون ما نعرفه عنها وهو (العالم المُدرك) هذا العالم – والذي يختلف إدراكنا له بدوره – هو جزء من الحقيقة . وفهمنا لها فهمًا نسبيًا . فلا توجد في مداركنا حقائق مطلقة .

هذا العالم المدرك هو في عقولنا نحن ، ولا صلة له بالواقع الحقيقي إلا في فهمنا له. فإذا اختلفت الحواس ، أو صنعنا من الأجهزة ما يُدرك العالم الخارجي بمقاييس مختلفة ، ستتضح لنا أشياءٌ جديدة.

تخيل إذن أن الإنسان محبوسٌ في داخله ، وأن الإنسان لا يحيا داخل المكان ، بل المكان هو الذي يعيش داخله عن طريق الصورة المُدركة داخل عقله.ولا يعيش داخل

جسده ، بل جسده هو ما يعيش في داخله كأي عالمٍ مُدركٍ من العالم الخارجي الذي لا نعرف حقيقته.

حتى حقائق الحياة نسبية ، معرفتنا بالزمن ، وبالحياة ، وبالوجود الذي نحياه كلها تتم على معايير نسبية ، ندرك من خلالها أجزاء من الحقيقة.

هناك العديد من المفاهيم التي أدركتاها تباعًا لنظرية "اينشتين " في النسبية . نسبية الزمن ، أهم النقاط التي تحدث فيه الكثيرون. بالإضافة إلى نسبية القياس .

بدورنا يمكننا استخدام نسبية القياس على كل الأمور المنطقية والفلسفية في حياتنا لنكتشف أنه لا توجد معانٍ مطلقة ، ولا صواب وخطأ مطلق ، ولا مفاهيم وقوانين مطلقة .

كيف يمكن للإنسان إذن أن يتخطى بعقلِه فوق كل هذه النسبيات كي يدرك الحقيقة المطلقة ، ولا يوجد في

مداركنا ولا في وجودنا حقائق مطلقة إلا الله سبحانه وتعالي ؟

إن إيماننا بالحقيقة المطلقة – وهي الله – ، وتشبثنا بها هو الطريق الوحيد لفهم الحياة ، والوصول إلى إدراك كامل ومطلق لهذه الحياة.

من هنا يأتي تشبثي بإيماني بالله تعالي . وهذا التشبث ناتج من طريقة فهمي للحياة ، وتحديد الطريقة التي أريد أن أحياها بها ، والتي توصلني إلى مبتغاي من هذه الحياة التي أحياها .

إن هدفي في الحياة هو أن أعبر عن وجودي وعن ذاتي ، والذي أثق تمام الثقة في اختلافه عن وجود وذوات الآخرين . ولكي اعبر عن وجودي ، يجب أن أحدد الوجود الذي يحيا فيه وجودي ، وأفهمه بشكلٍ كامل (لأن وجودنا وحياتنا نسبية ، وهي ترتبط بما حولها في حلقاتٍ مسلسلة لا نهائية).

من هذا الفهم ستأتي ردود الأفعال لما أقابله في الحياة ، وستأتي قيمي ومبادئي ، ثم مواقفي وأفعالي و التي تحدد في مجملها قيمة حياتي كما أراها .

إن الإيمان بالذات – يعتمد في رأيي – على الإيمان بالله ، وعلى الرغبة في الوصول إلى الحقيقة التي تحجبنا عنها الكثير من الضلالات مثل الشهوات ، والرغائب ، والأمنيات المادية والدنيوية . التي تتحكم في الإنسان وتحيد به عن الحقيقة . فتصنع له عالمًا كاذبًا لكنه جذابًا فيتشبث به ،ويحارب من أجله ، كي يشبع أمانيه ، فإذا ما أشبعها ، وانتهت حياته عرف الحسرة والندم على قيمة حياته الخاوية التي قضي عمره فيها.

أما فهم وجود الله ، و فهم قـُـربنا منه .سيصـــل بنـــا لأحلام أخري – ذات قيم أفضـــل – تجـــذبنا إليهـــا . فنقترب من الحقيقة ونعيش فيها حتى تكون المطلقـــات هي ما تهفو إليها أنفسنا . وهذه هي أسمى مراحل الإيمان بالله .



اغتراب المدونين

بقلم
مصطفى يحيى

ـ الفصل الخامس ـ

اغتراب المدونين

من الطبيعي أن تلقى كل يوم من يتحدث عن فئة المدونين كمن يتحدث عن آفة دخلت المجتمع الحديث بغرابة .

ربما يتحدث عن أطفال الشوارع بموضوعية أكبر ، لأنه يفهم ظروفهم وحياتهم أكثر .

وربما ينتهي إلى أنه من الأفضل تجاهل المدونين ، ليكفوا عن هذا الشغب وتصديع الدماغ .

ومن الطبيعي أن يكون رد فعل المدونين في الأغلب عدم الالتفات إلي هذه النوعية من الكتّاب (أو من اصطلح على تسميتهم كتّاب) . ليمضي كلٌ في طريقه .

لكن حينما يبدأ في تناولنا ، مفكر في حجـــم وعقليـــة الأستاذ (السيد ياسين) ويتعثر في محاولته لفهـــم هـــذا الجيل الجديد من المدونين فلا بد أن يلتفت البعض منا . ويحاول أن يستمع إليه قليلاً ، فلربما وصـــلنا لمناقشـــة جديرة بأن توصلنا إلى درجةٍ أعلى في محاولة فهم أنفسنا وفهم مجتمعنا وكشف بعض الغيوم في مسار حياتنا .

ففي مقاله المنشور في الأهرام بتاريخ ١٩/٦/٢٠٠٨ ، تحت عنوان (مدونون مغتربون) . بدأ السيد ياســين حديثه بأن بعض المدونين تعجلوا في طرح أفكـــارهم في كتب مثل (عايزة أتجوز) ، (أرز باللبن لشخصين) ، ثم الكتاب الذي قدمته دار العين بالاشتراك مع دار مزيد ، بجمع كل من : محمد كمـــال حســـن ، و مصـــطفي الحسيني ، والغريب أنه لم يذكر الكتاب الأخير الـــذي

قدمته دار اكتب تحت مشـــروع (مـــدونات مصـــرية للجيب)..

والحقيقة أن خروج المدونات في شكل كتب كان مفاجأة لأصحاب المدونات في الأصل . ثم أنه لم يأت كحـــدث مستقل ، وإنما أتى كحدث تلقائي تابع لحدث رئيس هو وجود عالم موازٍ من الفضاء السايبري يكشف النقـــاب عن وجه آخر من وجوه المجتمع المصري والعربي كـــان لابد من الاهتمام به والنظر إليه كجزء من قلب المجتمع ، وليس كمجتمع منعزلٍ على الأطراف ، كي لا نُصاب بالفصام المجتمعي الذي يصيبنا في كثير من النواحي .

بالنسبة لعبارة (جوبلز) التى رأي فيها الاستاذ ياســين أنها لم تستخدم بشكل موفق ، والتي صاغها الصحفيان (مصطفي الحسيني) و (محمد كمال حسن) التى تقول : (عندما اسمع كلمة مدونة أتحسس مسدسي) . فالجملة

لا تعني بالضرورة أن المدونات تلعب هذا الدور السياسي الخطير في مواجهة السلطة السياسية ، ولكنها استخدام محرّف للمعني الذي قصده جوبلز ، وزير دعاية الرايخ الثالث ، وهو أن الثقافة تعني وجود شخصية للمجتمع ، وهو ما يصنع رأيًا عامًا شعبيًا محسوسًا وله كيانه المستقل الذي يفرض وجوده على السلطة السياسية ، وهو ما يرهبه ويرفضه بالتأكيد كل نظام ديكتاتوري ، والعبارة المحوّرة تعني أن التدوين بدأ في صُنع مجتمع شعبي شبابي مثقف ومستقل يستطيع أن يفهم واقع الحياة السياسية والاجتماعية ويكوّن مواقفه الخاصة تجاهها وهو مايقلق أي نظام دكتاتوري حديث ، وكأن التاريخ يعيد نفسه مع اختلاف بعض المعطيات البسيطة .

كلمة الأستاذ تعني أما أنه لم يفهم المقصد الحقيقي أو أنه كان يتخيل أن في المدونات الحل السحري لكل مشاكلنا الحياتية ، أو أنها جبهة المقاومة الشعبية العنيدة التي توازي المقاومة الفلسطينية بحجارتها ومعاطفها الملغمة . وهي رؤية خاطئة قطعًا .

ثم إن جوبلز لم يقل عبارته لشكه في المثقفين ، ولكن لخوفه الزائد منهم ، مما جعله يأخذ موقف عدائيًا مبالغًا فيه ، لأن الثقافة تعطله وتمنعه من القيام بدوره في الدعاية لحرب الفوهرر ، وهو أيضًا الذي قال (كلما كانت الكذبة أكبر كلما كان تكذيبها عسيرًا) فالمثقفون سيفهمون الكذب ويكشفون التلاعب ويندّدون به ، بينا الخراف تسير في القطيع .

ثم يخلص استاذنا إلي إطلاق حكم شامل (تقريبًا) على المدونات بوصفها بالركاكة الأسلوبية ، والفقر المضموني

، وفي هذا إجحافًا بكينونة هذا الجيل ، أولاً لأن أستاذنا من المستحيل أن يكون قد قرأ كل المدونات السياسية المعروضة على الانترنت ، ولم يأخذ حتى العينة الإحصائية المناسبة للدراسة ، لكبر هذا المجتمع الإحصائي بما يفوق القدرات .

ثانيًا أنه من غير الجائز معاملة التدوينات السياسية من ناحية المضمون بالمعايير الأكاديمية الصارمة التي نعامل بها أي مفكر سياسي عتيد ، حتى نخلص إلى هذا النتيجة التي صدمتني شخصيًا .

ثم يتحول الأستاذ: السيد ياسين إلى أخذ قاعدة اجتماعية كمدخل لحديثٍ جديد ، مؤكدًا أنه لدراسة الموقف دراسة صحيحة لا بد أن يكون هذا على ضوء دراسة بيئية للمجتمع الذي حدث فيه هذا الموقف . ثم يؤكد أن البيئة الجديدة التى حوت هذه الظاهرة المجتمعية –

ظاهرة التدوين – هي حركة الانتقال الديموقراطي الذي يحدث في مصر !!!!!!!!!!!!!!!

ثم يبدأ في عرض ملامح التحول الديموقراطي باستفاضة أوجزها في النقاط التالية :

١– التعديلات الدستورية !

٢– حرية الصحافة غير المسبوقة !!

٣– تطبيق أحكام قانون الطوارئ !!!

٤– التطبيق المنهجي للخصخصة !

٥– تصاعد الاضطرابات والاحتجاجات والمظاهرات من فئات متعددة !

٦– ارتفاع الاسعار ، ويتعجب السيد ياسين من أن هذا أدى إلى الحكم الجائر على السياسات الحكومية بالفشل !!!!!!!!!!!!!!

الحقيقة لا أعرف كيف لخص أستاذنا البيئة الجديدة التى شهدت ظاهرة التـــدوين في أن مصـــر تتجـــه اتجاهًـــا ديموقراطيًا . فلو كان هناك اتجاهًا ديموقراطيًا لما وجدت كل هذه النسبة من المدونات الزاعقة المنددة بالكبـــت السياسي . والنفجار الذي تؤدي له مجريات الأحداث .
ثم تلخيص ملامح التحـــول الـــديموقراطي في النقـــاط السابقة . لا أعرف هل كان أستاذنا النابه يحاول كتابـــة مقالة ساخرة ، أم مقالة تحليلية ؟
لقد افرط في وصف هذه النقاط و ســـقط في تفاصـــيلٍ نعرفها جميعًا ولا حاجة بنا إلى تكرارها بهـــذا الشـــكل المترهل .
ثم يقول أن تفسير المدونات يحتاج أولاً إلى رسم خريطة اجتماعية وثقافية للمجتمع حـــتى تظهـــر التضـــاريس والملامح البارزة !!

و الحقيقة أنني لا أفهم أيهما الفعل .. وأيهما رد الفعل ؟ لأن المدونات هي انعكاس لشخصيات جانب كبير جدا من المجتمع ، توضح هيئته الاجتماعية والثقافية ، فدراسة المدونات بدرجة من الاهتمام والعمـــق سنســـتطيع أن نرسم خريطة المجتمع الثقافية والاجتماعيـــة .. ولـــيس العكس .
ثم يتجه الأستاذ : السيد ياســـين إلى التحامـــل علـــى المدونات الذاتية ، متسائلاً عن جدواها ، وخارجًا منها بنتيجة غاية في الغرابة فهو يقول بالنص : ((المعلم البارز لحركة الانتقال التى يمر بها المجتمع المصري هو شـــيوع ظاهرة اختلال القيم .. والشك في قيمـــة أي ممارســـة أصبح اتجاهًا سائدًا لدى الشباب ممـــا أدى إلى ظـــاهرة الاغتراب)) التى تغرق فيها المدونات الذاتية .

والحقيقة أن هذا الكــلام أولاً : يحمــل الكــثير مــن التضارب من ناحية التحليل النفسي التقليــدي الــذي تعلمناه من فرويد .

فالشك من قيمة أي فعل أو ممارسة سيؤدي إلى الابتعاد عن هذه الممارسة وعن فعلها ، وشيوع هذه الظــاهرة سيؤدي إلى الابتعاد عن الاختلاط بالمجتمع مما سيؤدي إلى العزلة والنكماش ، وليس الاغتراب .

وفرق شاسع كما يعلم استاذنا بين الاغتراب والعزلة .

ثانيًا : أن اختلال القــيم لا يعــني الشــك في نتيجــة الممارسات الإنسانية ، فاختلال القيم قد يعــني ســوء السلوك ، وسوء الوسائل المستخدمة للوصول للغايات .

ثالثًا : هو أن الشعور الزاعق بالاغتراب الذي يظهر في كثير جدًا من المدونات الذاتية ليس سببه اختلال القيم ، ولا الشك في نتيجة الممارسات كما يتهم استاذنا هــذا

الجيل . ولكنه أتى من الاختلاف واضح المعالم بين العالم الذي يتمناه الجيل ، والعالم الذي يسعى إلى إيجاده ، وبين العالم الفعلي والواقعي الذي يحيا فيه .

هذا هو ما يؤدي إلى ظاهرة الاغتراب ، فمن الممكن أن أحيا وحيدًا منعزلاً ، لكننى لا أشعر بالاغتراب ، ومــن الممكن أن أعيش وسط الناس ، وفي بؤرة الأحــداث ، لكننى أشعر بشعورٍ ساحقٍ بالاغتراب ، وبأن هذا ليس مكاني ولا عالمي.

ثم خلص إلى سؤالٍ عبقري : هل يفهم الشــباب حقًــا التغيرات التي لحقت ببنية المجتمع العالمي والآثار السياسية والاقتصادية والثقافية الكبرى التى ترتبت عليها ؟

ثم يتساءل عن كيفية رؤية الشباب للماضي ، وكيــف يفهمون الحاضر ، وبأي شكلٍ يطلون على المستقبل ؟

والحقيقة أنه أوقع نفسه في دائرة مفرغة ، لأن أسئلته لا تحمل إجابة محددة منتهية .

فهي أسئلة تصلح لبداية مناقشة طويلة جدا ، نخلص منها إلى عدة نتائج مختلفة ومتباينة .

ربما كان ما يقصده هو كيف يعي الشباب واقعهم .. وكيف يفهموه . وهذا لا يحتاج إلى دروس تدريبية كما قال في نهاية مقاله . ولكنه يحتاج إلى قناة للحوار .. ولتبادل الأفكار . بعيدًا عن الفكر الكلاسيكي المهترئ والظن بأن أساليب الحوار والتعليم تسير دومًا في اتجاهٍ وحيد .

اعتقد ان بداية أي حوار منطقي ، وبداية أي بارقة أملٍ في المستقبل الذي يخشي السيد ياسين علينا منه هو الاعتراف بالعقليات الشبابية ، وبثوراتها و أفكارها . والثقة بها .

لا يجب أن تصل أعمارنا إلى الستين لنواجه كاميرا الحياة فجأة .. ونهابها , ونتخبط في حضرتها . بعد عمرٍ طويلٍ عشناه ككومبارس تافة على هامش الحياة .

حقوق الفكر

بقلم

مصطفى يحيى

ـ الفصل السادس ـ

حقوق الفكر

في الأحد الموافق السادس والعشرين من ابريل ٢٠٠٩ ، كان العالم يحتفل باليوم العالمي للابتكار الأخضر ، الذي وافق يوم الاحتفال بحقوق الملكية الفكرية.

ربما يرى البعض أن موضوع الملكية الفكرية ليس بالأهمية الكافية التى تشغل هموم الناس . والحقيقة أن صلاح أي مجتمع إنسانى لا يكون إلا بالحفاظ على الحقوق والقيام بالواجبات.

إن الممارسات الإبداعية من أهم وأقدس الممارسات الانسانية على مدار التاريخ ، وعن طريقها تتقدم الدول ، وتُبنى الحضارات ، وتتبلور الثقافات. لهذا كان على

المجتمع أن يقدر هذه الابداعات ويحميها من السرقة ، ويوفر لمبتكريها البيئة المناسبة و الخلّاقة التى تساعدهم على خلق الابداع وتطويره .خاصة مع امكانية استثمار هذه الحقوق في النمو الاقتصادي والرفاء الاجتماعي – كما بدأت تتجه سورية – عن طريق تحويل هذه الافكار الابداعية إلى قيم اقتصادية فاعلة في المجتمع.

ولكن دعونا نتفق أن تطبيق هذه الأفكار يحتاج إلى ظروف مجتمعية مناسبة حتى يكمن تطبيقها ، مثل معدل النمو الاقتصادي ، ومتوسط دخل الفرد في المجتمع . فلو كان بإمكاننا تقسيم هذه الحقوق ، لتكلمنا عن حق المؤلف في أن ينسب عمله إليه هو نفسه ، وحق الناشر في العائد المادي ، وحق المستهلك في أن يصله هذا الابداع بسعر في متناول يده .

السرقات الأدبية على الانترنت ، التى تقدم كل الابداعات مجانًا، تساهم حقًا – بدرجةٍ ما– في تثقيف المجتمع ، وتوفر قناة مناسبة لتدفق المعلومات، بدونها سيغرق الكثير في الظلام ، والبعد عن الحياة الأدبية والثقافية.

وفي نفس الوقت لا يمكن أن نعتبر هذا سببًا لسرقة المبدع أو الناشر . ولكنه يدفعنا للتفكير في حل لكلا المشكلتين : مشكلة حماية حقوق الملكية الفكرية ، ومشكلة غياب الأفراد عن الحياة الثقافية والأدبية والعلمية .

اعتقد أن البداية بمحاولة توفير هذا الابداع بسعر في متناول المستهللك العادي ، حتى يمكننا في النهاية أن نعاقب السارق أو القرصان بضمير مستريح.



أياديهم التي تبطش

بقلم

مصطفى يحيى

ـ الفصل السابع ـ

أياديهم التي تبطش

الموضوع ربما يكون غير ذي جدوى .

هناك شرطة مهمتها حماية المواطن ، لكن حينما يتحول الأمر إلى التنكيل بالمواطن ، وتقييد الحريات ، فلا بد أننا نتحدث عن شيء جد تقليدي جدًا في دول العالم الثالث، قد يتصور البعض أنها دول العالم الثالث التي تضرب الصحافيين والمحامين على –عفوًا – قفاهم ، ويتم تصوير هذا علنًا ونشره في الجرائد ، ظاهرًا جدًا وجة الضحية والجلاد . لكن الحقيقة أن هذا ليس في الدول التي تحوي مواطنون درجة ثالثة .

حتى في أمريكا (والدول المتقدمة) كانت تحدث حوادث شبيهه بحوادثنا تلك وبعضها كان يقوم بها

أشخاص عادية بأمر ممن يدعي أنه ضابط ، وعبر الهاتف ، بالطبع أتحدث عن سلسلة خدعة التفتيش والتعرية عبر الهاتف التي حدثت لما يقارب عقد من الزمن في أمريكا آخرها حادثة ولاية كنتاكي في ماونت واشنطن ، حيث تعرضت للتفتيش والتعرية والاهانة الجنسية فتاة تدعي لويز ارجوبون في إحدى فروع سلسلة مطاعم ماكدونالدز .

لكن الميزة في أمريكا ، هو اختلاف الثقافات الفردية ، هو الحرية المتاحة لكل فرد كي يقول كلمته حتى لو تعارضت مع النظام المتبع ، والأهداف السياسية .

أن تكون آدمي ، ثم يعطيك الله سلطةً ونفوذا ، فتتحول إلي حيوان مسعور .

وأكثر من بحث في هذا الأمر هما الأمريكيان (فيليب زيمباردو) و (ستانلي ميلجرام).

الأول أجرى اختباره الشهير (اختبار سجن ستانفورد) والثاني قام بتجربته المسماه بإسمه (تجربة ميليجرام).

الأول (فيليب زيمباردو) جمع مجموعة من عامة الشعب الأمريكي ، وأكثرهم طلبة في الجامعة ، جمعهم في قبو جامعة ستانفورد وقسمهم إلى مجموعتين (حُراس) و (مساجين) ،أعطى الحراس كل الصلاحيات والسلطات التامة لحفظ النظام في السجن ، ونزع من المساجين كل شيء حتى ملابسهم الداخلية وابدلها برداء وحيد فضفاض ، وكان المخطط أن تستمر التجربة لأسبوعين ، لدراسة سلوك الحراس والمساجين بغرض محاولة فهم الاستجابات النفسية للأسر ، وفهم أسباب الصراعات في السجون .

وتوقفت التجربة بعد ستة أيام لأن ما حدث فاق كل خيال .. لماذا ؟

لأن الحراس قاموا بممارسات سادية ضد السجناء كـــان أقلها التعذيب ، والاجبار على قضاء الحاجة على الملأ ، وتنظيف المراحيض شديدة القذارة بالأيـــدي المجـــردة ، بخلاف التحرش الجنسي ، والإذلال ، هتك العرض .

وتوقفت التجربة ، وتحول ثلاثة سجناء من مجموع (١ سجين) إلي مرضى نفســيين ، (أي بنســبة ٢٥%) يعانون من الاضطراب العاطفي ، والاختلال النفسي .

هذا ما حدث من افراد المفترض أهـــم متحضـــرون ، وطلبة في جامعة ، وليس بينهم مجرم ، أو مريض نفسي .

وخرج (زيمباردو) بعرض نماذج للطاعة والانصياع التام التي يبديها الناس عندما يتعرضون لنظـــام أيـــديولوجي يستند إلى دعم اجتماعي .

أي انصياع القطيع أمام جبروت السلطة والنفوذ .

هنا جاء العالم الثاني (ستانلي ميليجرام) ليدرس انمـــاط الاستجابة للسلطة ، وإذا تعارضت مع مبدأ انساني عام هو (عدم إيذاء الاخرين)، بهدف دراسة موقف الجنود الذين نفذوا الهولوكوست ضد اليهود وأحرقوهم كانوا فقط ينفذون الأوامر أم أنهم مشـــتركون في الجريمـــة (واضح طبعًا كنه ديانة الرجل) ، ليقدم اختباره أو تجربته مستندًا إلي اسم جامعة ييل مرة ، وإلي مكتب صحي في ضاحية صناعية .

وخرج بنتائج شديدة الروعة تدرس العلاقة بين منفـــذ الأمر ومن ينفذ عليه الأمر ، والعلاقة بين منفذ الأمر (أو المشارك كما اطلق عليه في تجربته) وبين السلطة ، وقدم مفاهيم جديدة عن غريزة القطيع ، ونتائجها ، وكيـــف يمكن استخدامها للوصول لنتائج معينة .

وخرج الرجل من تجربته والنماذج العديدة لها بأن :
الطبيعة البشرية غير جديرة بالاعتماد عليها لتبعد الإنسان عن القسوة، والمعاملة اللاإنسانية، عندما تتلقى الأوامر من قبل سلطة فاسدة، وأن نسبة كبيرة من الناس مستعدون لتنفيذ ما يؤمرون دون أخذ طبيعة الأمر بعين الاعتبار، وبدون حدود يفرضها الضمير، مادامت الأوامر صادرة عن سلطة شرعية.

إذا كانت هذه هي نتائج أهم بحثين نفسيين في العالم ، عن هذا الموضوع .

فماذا يمكن أن نتوقع ؟

أو على من نلقي اللوم ؟

هل هي سمات أساسية في البشر جميعًا ؟

هل هو داء جديد يصيب العصر الحديث ؟

أهو تمرد من الانسان على بوتقة كينونته الأدمية ، وغرقة في عوالم الحيوانية ؟

لا أعرف لماذا كلما فكرتُ في الأمر ، أكره معشر البشر .

وانتمائي إليهم .



التمجيد و التشهير

بقلم
مصطفى يحيى

ـ الفصل الثامن ـ

التمجيد و التشهير بالعرب

أتساءل دومًا – وأعتقد انني محق في تساؤلي – عن الوقت الذي سيحين فيه للعرب التحرر من ربقة الهيمنات الغربية ، بعد العهود الطويلة التي قضتها هذه الشعوب تعاني فداحة الاستعمار الغربي لها . تكدس الأنفس ، وتسن الأرواح ، وتحلم بالجلاء الكامل عن أراضيها . ولم تكد تفيق حتى سقطت في براثن قوى أخرى أشد طغيانًا ، وأخف وطئًا على نفسٍ لم تشعر بثقل هذه الهيمنة إلا بعد عقودٍ مديدة ، ومنها ما زال يحيا الحلم الغربي ، ويراه في خيالاته.

لم يكن الاستعمار الغربي للشعوب العربية هو الشكل الوحيد للتحكم الغربي في الشرق ، بل سبقه وتلاه

صورًا أخرى من التحكم ، ظلت مستمرة إلى يومنا .منذ وعد بلفورد لهرتزل بإقامة وطن في فلسطين يجمع فيه شتات يهود العالم . إلى المناورات السياسية التى تقوم بها أمريكا و إسرائيل لفرض هيمناها على الدول العربية ، واستخدام سلاح القضية الفلسطينية وربطه في كل مرة بقضية مختلفة .

يستخدمون مرة أساليب الترغيب كسلاح المعونات الأمريكية ، أو تقديم الشراكة التجارية والاقتصادية بينها وبين دول الشرق (وهو سلاح ذو حدين ترغب به دول الشرق ، وتربطهم في نفس الوقت بعجلة الاقتصاد الأمريكي ليكونوا تابعين لها) ، وتستخدم التهديد كذلك ، كفتح الملفات النووية ، وملف الديموقراطية وحقوق الإنسان . بل وتحاول إقناع العالم بأنها تسعى لنشر الديموقراطية والسلام وحقوق الإنسان وتحسين

أساليب التعليم والصحة كأنها مُصلح عالمي أو نبيٍ جديد.

والمشكلة الكبرى أن كثير من المثقفين العرب يصدقون هذا ، ويقتنعون به ، ويجرون في كل مكان يصرخون به ويهللون له . وبعيدًا عن افتراض سوء النية ، وبعيدًا عن الاتهام بالعمالة والمصلحة الفردية الخاصة . فكيف يمكن لعاقل أن يتصور كل هذه الملائكية في دولة استعمارية بطبعها يتدخل في حكمها اللوبي اليهودي الذي يؤمن بأرض الميعاد من النيل للفرات؟

الفكرة تخرج عن كونها مشكلة فكرية أو ثقافية إلى كونها مشكلة نفسية صارت تشكل كثيرًا من الوجدان الجمعي العربي ، الذي صار يحلم بالخلاص على طريقة الإله من آلة لينتهي فجأة من كل مشاكله الاقتصادية والسلوكية والاجتماعية والسياسية . وهذا الاعتقاد في

حد ذاته كفيل بأن يضيف إلى أعبائه عبئًا جديدًا بتراكم كل هذه المشاكل دون رد فعل واحد حقيقـــي وفعـــال يصدر عن نفس تسعى للتغيير .

جماعات كبيرة من المثقفين العرب يلقون بكل هذا الحال المزري الذي وصلت إليه كثير من البلدان العربية علـــى عاتق الحاكم وحده ، والأكثر إنصافًا منهم يلقه علـــى عاتق الشعب العربي وموروثاته السلبية وثقافته الانتهازية

.

ويخرجون من تحليلاهم هذه بإسقاط كل مسببات هـــذه الحال على شهوة السلطة والبقاء فيها لأطول أجل ممكن ، بل والرغبة في توريثها للأبناء (مثلما فعل معاويـــة) وقرارات تُتخذ لتحقيق مصالح فردية خاصة بعيدًا عـــن الصالح العام ، ونبذ الديموقراطية ، والإصلاح الفعلي في كل فروع المجتمع ، وعلى ثقافة الشـــعب الســـلبية و

خوفه من بطش ضارب ، والخنوع والاستسلام التـــام للسلطة الفردية التي لا تعبر عنه ، وتركه لكل هذا وبحثه عن مجده الفردي واكتساب الرزق ، وعدم الالتفـــاف حول مبدأ أو قضية قومية ، وتركه للمشاركة الفعلية في الساحات السياسية والاجتماعية.

ثم يخرجون من كل هذه التحليلات بأنه مادام لم يـــأتي إصلاحنا بأيدينا فليأت إذن بيد عمرو . وعمرو يلعـــب دوره دولة كاملة تمثل القطب الأوحد في العالم.

فيشجعون الرأي القائل بتدخل أمريكا في إصلاح التعليم في العراق ، وبتدخلها في طلب تغيير الخطاب الدينى في مصر ، وسعيها لتحقيق الديموقراطية بالتدخل السافر في شئون بلاد العالم الثالث ، بدعوى أنها لم تصل لمرحلـــة النضج الكامل لتسير أمورها ، كمراهق لا زال يحتـــاج لوصاية أبيه.

وكثيرٌ منهم يغرق في جلد الذات ، واهام العرب بأسوأ الاهامات الأخلاقية ، متحدثين عن الأزمات الثقافية التي تعانيها الشعوب ، والأزمات العلمية والفكرية.

وكل هذا لا يصيب كبد الحقيقة . فلا يمكن بحال إسقاط الظروف التاريخية التي عاشتها الشعوب العربية لتصل لما وصلت إليه. فأي تفاعل كيميائي مفتوح لا يمكن تحليله ومعرفة نتائجه بدون الرجوع إلى العوامل الخارجية التي أثرت على هذا التفاعل وشاركت في الوصـــول لهـــذه النتائج، والعامل الخارجي الأكثر أهميـــة وتـــأثيرًا هـــو الاستعمار الغربي للشرق ، وتقسيمه – كالكعكة – بين هذه القوى الاستعمارية في الحملة الأوروبية الثانية التي انتهت بسقوط العثمانيين بعد الحرب العالميـــة الأولى، ثم ما تلاها من سنوات الاستعمار الغـــربي ، وصـــولاً إلى

الهيمنة الأمريكية بسلاحي القوة العسكرية والاقتصـــاد على معظم دول العالم الثالث.

دعونا لا ننسى – أو نحاول أن نتناسى – تاريخ أمريكا والأمريكيين أنفسهم في إبادة شعب كامل هـــو الهنـــود الحمر ، لاحتلال موطنهم وخلق عالم جديد لهـــم ، دون أي اعتبار لديموقراطية أو حقوق إنسان ، أو غيرها مـــن المصطلحات ذات السلاحين .

أمريكا تتكلم عن رغبتها في تحرير العرب من أنظمتـــها الفاسدة . ومن قبلها تحدثت فرنسا في حملتها على مصر برغبتها في تحرير مصر من الاحتلال العثماني لها ، حـــتى بريطانيا في الحرب العالمية الأولى وما قبلها تكلمت عـــن عبء الرجل الأبيض بأن يحرر الآخرين الأقل منه تحضرًا وعلما ، ورغبتها في تحرير الدول الأقل منها من الجهـــل والظلم والغوغائية.

هي سمة غالبة للدول التى ترتدي قنـــاع الديموقراطيـــة للسيطرة على الدول الأقل منها قوة واقتصادًا وهيمنة . التحدث بلسان الأخ الأكبر أو الأب الذي يتعذب من أجل صلاح أولاده القصّر.

ومخدوعون من يصدقون هذا الكلام ، أو يتكلمون بـــه سعيًا وراء صالح العرب ، فتقدم العرب الفعلي والحقيقي وبداية صلاحهم سيأتى مع اللحظة الأولى لتحــــررهم النفسي من الهيمنة الأمريكية على ثقافتــــهم وعقـــولهم وفكرهم . إن الإيمان بالذات ، وبتاريخ هؤلاء القـــوم العريق وأصالتهم ، والشعور بالحرية الفكرية والثقافية ، سيطلق الشعلة الأولى في تحرير العرب الحقيقـــي مـــن الاستعمار النفسي والاقتصادي والثقـــافي الـــذي لازال العرب يرسفون تحت نيره عالمين وغير عالمين.

مصطفى يحيى
الإسكندرية في ٢٠٠٩/١١/٧



الكاتب في سطور

مصطفى يحيى

معلومات الاتصّــال :

العنــــــــــــوان : ســـــيدي بشـــــر – الإسكندرية .

رقم الهاتــــــــف : ٠٣/ ٥٣٣٦٩٥٢

رقم الموبايـــــــل : ٠١٠٣٠٠٨٠٥٤

تاريخ المـــــــيلاد : ١٤ من مارس ١٩٨٣م.

محل الميـــــــلاد : الإسكندرية .

الجنســــــــــية : مصري .

البريد الإليكتروني :

mostafa١٢٥١٥@gmail.com

الأعمال الأدبية:

١ - ديوان (التي ترحل هناك) – شعر فصحى – عن دار هفن للنشر والترجمة والبرمجيات – ابريل ٢٠٠٩

٢ - مجموعة قصصية (أوراق بلون الورد) ، عن دار رواية للنشر الإليكتروني- ديسمبر ٢٠٠٨

٣ - نشر العديد من القصائد والقصص القصيرة في أكثر من دورية وجريدة مصرية وعربية مثل:

دورية نيسابا : الصادرة عن دار دايموند بوك – الكويت.

دورية : بدايات : الصادرة عن دار ليلي – مصر .

جريدة : رواق الأدب – الجزائر.

٤ - مشترك في العديد من المنتديات الأدبية

٥ - مدون نشيط : مدونة حياة جديدة .

وصلات ذات صلة :

مدونة حياة جديدة :www.٧aya.blogspot.com

جروب ديوان : التى ترحل هناك على الفيس بوك

http://www.facebook.com/group.php?gid=١٠٠٩٣٣٩٦٢٢٦٤&ref=mf

الناشر

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لصالح (**داررواية للنشر الالكتروني**) وأي إعادة نشر إلكترونية دون وجه حق تعرض صاحبها للمساءلة .. موقع الدار على الشبكة العنكبوتية

(http://dar-rewaya.com)



http://www.dar-rewaya.com